



لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يحيد رجل
واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات ..
ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق
عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة
اخبارات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١- الوداع ..

اصطبغ قرص الشمس بلونه الأحمر النارى ، وهو يميل إلى
الغروب فى الأفق ، والرمق الأخير من ضوءه يسقط على الأشجار
العالية ، فتلقى ظلها الطويل عند جنول صغير ، يمتد عبر مزرعة
ضخمة ، من مزارع مدينة (كيووا) المكسيكية ، فى نفس اللحظة
التي ظهر فيها رجل وسيم قوى ، متين البنيان ، على متن جواد
عربى أصيل ، من خلف عدة أشجار قريبة ، واقترب فى ببطء من
الجنول ، حتى بلغه وقد اختفى الثلث الأسفل من قرص الشمس فى
الأفق ، فهبط عن صهوة الجواد ، ووقف يراقب الغروب فى
صمت ، وقد أطلت من عينيه نظرة عجيبة ، تجمع ما بين الحزن
والضجر والضيق والمرارة ، فى آن واحد ..

ومع غوص الشمس فى بحر الأفق ، راح ذهن الرجل يسترجع
تذكرات متداخلة ، ما بين القريب والبعيد ..

تذكرات والده ، الذى بذل أقصى جهده ، ليجعل منه أعظم رجال
المخابرات فى العالم ..

ومصرع هذا الولد ..

ثم تذكرات العمل فى القوات الخاصة المصرية ، قبيل وأثناء
حرب أكتوبر ، عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين ..
وبعدها الالتحاق بالمخابرات العامة المصرية ..

وتنهّد الرجل ..
تنهّد العملاق ، الذى لم تشهد ساحات المخابرات مثيلاً له ، فى
العالم أجمع ..
واسترجع ذهنه صورة أحب إنسانة إلى قلبه ..
صورة (منى) ..
زميلته وحبيبته ، التى قضى عمره كله يتمنى الزواج منها ، ثم
وجد نفسه زوجاً لآخر مخلوقة كان يتصور علاقته بها ..
بعدوته اللود ..

بـ (سونيا) .. (سونيا جراهام) .. (*)

كم يؤلمه أن بلغت الأمور هذا الحد ..

كم يحزنه أن تنتهى حياته الحافلة إلى هذه النهاية ..

مجرد مزارع ثرى ، فى (المكسيك) ..

ولكنه القدر ..

القدر الذى جعله يواجه (باتشوسيلازر) ، ويفقد ذاكرته ،
وينخل فى صراع مع (توماس موران) ، و (كال) ، و (هنتر) ،
ومنظمة (سكوريون) كلها ..

نفس القدر الذى جعل (سونيا) تهرع إليه ، وهى تحمل اسم
(نورما كرينهال) ، فتقاتل من أجله ، وتواجه الموت فى سبيله ،
بعد أن قضت حياتها كلها فى محاولة للقضاء عليه ، وتقلب الأنوار
رأساً على عقب ، حتى تنقذه ، وتصبح زوجته ، وأم طفله
الوحيد .. (**)

طفله ، الذى شاء القدر أن تتجبه له (سونيا) ، بعد أن تعنى
طفلة عمره أن تحمله (منى) ..

(*) راجع قصة (الرجل الآخر) .. المغامرة رقم (٨١) .

(**) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم (٨٤) .

(منى) ، التى لم يرها منذ شهر كامل ، عندما غادر منزلها مع
(سونيا) ، بعد أن قصّ عليها قصته ، وطلب منها كتمان أمر
وجوده على قيد الحياة ، ليعتزل حياة القلق والصراع إلى الأبد ..
مرة أخرى تنهّد فى عمق وحرارة ، وقد غاب قرص الشمس
تماماً فى الأفق ، وبدأ الظلام يستعد لإسدال ستاره على المكان ، ثم
اتجه (أدهم) إلى جواده ، ووثب على متنه فى رشاقة مدهشة ، لم
يفقدها بعد ، وألقى نظرة أخيرة على الأفق ، قبل أن يغمر فى
مرارة :

– لابد أن تعترف يا (أدهم) . لقد انتهت (أدهم صبرى) ، ولم
يعد هناك سوى (أميجو) .. (أميجو صاندو) .

ولكن جواده لينطلق عائداً إلى مزرعته ، وهو ينعى نهايته ..
نهاية الرجل ..

رجل المستحيل ..

عبرت الرائد (منى توفيق) بؤابة مبنى المخابرات العامة فى
خطوات رصينة كعادتها ، وألقت تحية رفيقة على رجال أمن
البؤابة ، على الرغم من نظرة الحزن العميقة ، التى تملأ عينيها ،
وتطلّ منهما فى وضوح يستحق الشفقة ، ثم صعدت على قنميتها
إلى الطابق الثانى ، وقطعت العمر الطويل فى بطء ، وكأنها لم تعد
ترغب فى العمل ، أو لم تعد تطيق الجلوس فى مكتبها ، بعد أن
انتهى عملها مع (أدهم) ، الذى يظنه الجميع قد فارق الحياة ، فيما
عداها ..

هى وحدها تعلم أن (أدهم صبرى) ما يزال حيّاً ، هناك فى

(كياواوا)، يقضى البقية الباقية من أيامه مع زوجته (سونيا جراهام)، وابنه الوحيد، الذي لم يخبرها حتى عن اسمه ..
 هي وحدها تتوء بذلك السر، الذي انتمتها عليه (أدهم)،
 وطالبها بكتمائه ..
 تتوء بحزن لا مثيل له، بعد أن فقدت الرجل الذي أحببت مرتين ..
 مرة بزواجه ..
 ومرة برحيله ..
 ولم تستطع بلوغ مكتبها بالفعل ..
 عجزت قنماها عن حملها إلى هناك، في ذلك اليوم ..
 إنها لم تعد تحتل ..
 لم تعد تحتل أبدا ..
 «صباح الخير يا (منى) ..»
 انتفض جسدها، عندما بلغ هذا النداء مسامعها، كما لو أنه قد
 انتزعها من سبات عميق، والتفتت في حركة حادة إلى مصدره،
 فهتفت بها صاحبه :
 - ما هذا ؟ .. لست أظننى مفزعا إلى هذا الحد .
 زفرت لتلفض عنها ذلك التوتر، الذي لم تجد له تبريرا،
 وحاولت أن تبسم في شحوب، وهي تقول :
 - معذرة يا (قذرى) .. لقد انتزعتنى من شرودى فحسب .
 تطلع إليها مشفقا، وقال في صوت خافت حنون :
 - ألم يحن الوقت بعد، لطرح كل هذا الحزن جانبا ؟
 قاومت رغبة عارمة في البكاء، وهي تقول :
 - ربما فيما بعد يا (قذرى) .. ربما فيما بعد .

ارتفع من خلفهما صوت مرح، يقول :
 - ما هذا الذي ستؤجلاته لما بعد ؟
 التفتا معا إلى صاحب الصوت، وعقدت (منى) حاجبها في
 ضيق، في حين قال (قذرى)، وهو يبتسم ابتسامة هائلة :
 - صباح الخير يا (حسام) .. كيف حالك ؟
 أجابه (حسام) في مرح :
 - إننى في خير حال، ولكن عزيزتنا (منى) ما تزال ترائى ثكليل
 الظل .
 قالت (منى) في ضيق واضح :
 - من وضع في رأسك هذه الفكرة ؟
 أجابها بجدية مفاجئة :
 - أسلوبك هذا .
 لم تنبش بينت شفة، لأنها تعلم أنه على حق ..
 إنها لا تدرى حتى لماذا تعامله بهذا الجفاء ؟
 لماذا ترفض وجوده ؟
 ألا أنه يحتل نفس الموقع، الذي كان يحتله (أدهم صبرى) من
 قبل ؟
 ألا أنه يحمل لقب (ن - ٢) ؟
 أم لأنه طلب الزواج منها ؟
 «لماذا يا (منى) ..؟»
 مرة أخرى انتفضت دون سبب واضح، عندما قال (حسام)
 هذه العبارة، ورفعت عينها إليه في ارتباك، وهي تغتمغ :
 - لماذا ماذا ؟

سألها في ضيق :

- لماذا تكرهيننى إلى هذا الحد ؟

نقل (قدرى) بصره بينهما ، قبل أن يقول فى حرج :

- (منى) لا تكرهك يا (حسام) ، ولكن ..

قاطعها (حسام) فى صرامة :

- دعها تجيب بنفسها .

ارتبك (قدرى) ، ولم يدرك ماذا يفعل ، فى حين غمغت (منى) :

- هذا صحيح يا (حسام) .. لست أكرهك ، ولكن ..

حاولت أن تجد جواباً منطقياً شافياً ، ولكنها عجزت عن هذا ،

فأكمل هو فى حدة :

- ولكننى احتل موقع الرجل الذى أحببت .. أليس كذلك ؟

خففت عينيها ، لتخفى تلك الدمعة ، التى تفرقت فى عينيها ،

وهى تقول :

- اعذرنى يا (حسام) .. إننى ..

قاطعها فى صرامة :

- لا داعى .. لن أطلبك بتبرير مشاعرك ، فهى من حقدك

وحدك .

صمت لحظة ، قبل أن يضيف :

- ولكن عليك أن تحتملى تواجدى ، برغم أنفينا ، فهناك

مهمة تنتظرنا معاً .

تهللت أسارير (قدرى) ، وهو يهتف :

- أخيراً .. أخيراً يا (منى) ستعودين إلى العمل .

أما هى ، فقد غمغت فى توتر بالغ :

- مهمة ؟

أوماً (حسام) برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم يا (منى) .. لقد طلب السيد المدير مقابلةنا ، ليسند إلينا

مهمة جديدة .

وشرد بصره ، وهو يضيف فى حزم :

- ولقد قررت أن أبذل قصارى جهدى فى هذه المهمة ، حتى

يمكننى انتزاع اللقب بجدارة .

رئدت فى قلق :

- اللقب ؟ .. أى لقب ؟

برقت عيناه ، وهو يجيب :

- لقب أسطورتك الراحل .. لقب الرجل .. رجل المستحيل .



٢ - المهمة ..

نقل مدير المخابرات العامة نظره، بين (حسام) و (منى)، وهما يجلسان على جانبيه، في حجرة العرض السينمائي، داخل مبنى المخابرات العامة، وقال في هدوء :
- قبل أن تبدأ المشاهدة، ينبغي أن تعلم أن مهمتكم ليست باليسيرة، بل إنها - في رأيي - أخطر مهمة للإدارة، في هذا العام.

برقت عينا (حسام) في جذل، وهو يقول :

- إلى هذا الحد !؟

أما (منى) ففهمت :

- لست أدرى في الواقع، ما إذا كنت أستطيع أن ..

قاطعها المدير في حزم :

- إنك تستطيعين .

علقت حاجبيها في ضيق، فأضاف في صرامة :

- لقد عملت طويلاً في القسم الإداري، بعد عودتك من

(المكسوك)، منذ ما يقرب من العام ونصف العام، وحان الوقت

لعودتك إلى العمل الجاد، ونسيان الماضي كله، فعملنا لا يحتمل

هذه الوقفات العاطفية الطويلة .

استمعت إليه في صمت، ثم تمتعت :

- نعم ياسيدى .. أنت على حق تماماً .

وابتسم (حسام)، وهو يقول :

- بالتأكيد .

نقل المدير بصره بينهما مرة أخرى، ثم شبك أصابع كفيه أمام وجهه، وقال في لهجة حازمة كعادته :

- كلاكما يعلم أن عالم المخابرات ليس بالعالم السهل أو البسيط، وأنه يتجاوز أحياناً كل تعقيدات السياسة وملاسماتها، وينغمس فيها حتى النخاع، في أحيان أخرى، ولكنه دائماً عالم غامض بالغ الخطورة .

قال (حسام) في هدوء، وبلهجة أقرب إلى المرح :

- إننا نعلم هذا .

تابع المدير، وكأنه لم يسمع هذا التعليق :

- ولأن عالمنا يحمل هذه السمة، فنحن نحتاج دائماً إلى معرفة

أسرار أجهزة المخابرات الأخرى، والاطلاع على ما توصلوا إليه،

في كل المجالات، حتى نكون دائماً على أهبة الاستعداد لمواجهة

هذه الأجهزة، إذا ما اضطرنّا الأمر يوماً لخوض صراع ما معها،

ولهذا أنشأنا ذلك القسم، المتخصص في زرع بعض العملاء، في

أجهزة المخابرات الأخرى، مثل الـ (كي . جي . بي) (*)،

والـ (سي . آي . إيه) (**)، و (المكتب الخامس) (***)،

و (الموساد) (****)، وغيرها ..

سأله (حسام) في اهتمام :

(*) المخابرات السوفيتية .

(**) المخابرات الأمريكية .

(***) المخابرات البريطانية .

(****) المخابرات الاسرائيلية .

- كلهم مصريون .. أليس كذلك ؟

أوما المدير برأسه إيجانها ، وقال :

- بلى ، ولكنهم يتعاضون مع المجتمعات ، التي تم زرعهم فيها ، كما لو كانوا منها ، فيحملون أسماء تتناسب مع تلك المجتمعات ، بل تاريخاً متقلنا ، يبذل قسمنا جهداً هائلاً ، لمنحه المصادقية المناسبة ، التي تتيح لميلنا الانغماس في المجتمع الجديد لسنوات وسنوات ، حتى ينجح في الالتحاق بأحد أجهزة المخابرات ، وهنا يبدأ عمله .

عاد (حسام) يسأله ، في اهتمام أكثر :

- وهل تتعلق مهمتنا بأحد هؤلاء العملاء ؟

أوما المدير برأسه إيجانها ، للمرة الثانية ، وهو يشير بيده إلى فنى العرض المينمالي ، قائلاً :

- بالتأكيد .

أظلمت القاعة تماماً ، وسقط ضوء آلة العرض على الشاشة ، لينقل صورة رجل أشقر ، أزرق العينين ، في أوائل الأربعينات من عمره ، ينهك في رى عدة أحواض من الزهور ، في حديقة فيلا أنيقة ، وقال المدير :

- هذا هو عميلنا في الـ (سى . آى . إيه) .. إنه أمريكى المظهر كما تلاحظان ، ولكنه مصرى صميم ، من قمة رأسه ، وحتى أعرق أعماقه ، ولقد قضى نصف عمره في الولايات المتحدة الأمريكية ، حاملاً اسم (هارولد دين) ، ومتعاملاً كائى أمريكى خالص ، حتى أمكنه أن ينخرط في المخابرات المركزية الأمريكية ، منذ خمسة أعوام ، بعد جهد رهيب ، منه ومن قسم زرع العملاء ، وأصبح أهم رجالنا في الولايات المتحدة الأمريكية على الإطلاق ..

صمت ليلتقط نفساً عميقاً ، قبل أن يضيف فى ضيق واضح :

- حتى أسبوع مضى .

سألته (منى) فى قلق :

- وماذا حدث فى هذا الأسبوع ؟

مط شفتيه فى أسف ، وقال :

- يبدو أنه قد ارتكب خطأ ما ، فى مرحلة سابقة ، أثار شكوكهم بشأنه ، ودفعهم إلى مراقبته وتتبعه ، حتى ألقوا القبض عليه متلبساً بنقل بعض معلوماتهم إلى أحد رجالنا فى (نيويورك) ، وحاول رجلنا الهرب ، ولكنه لقي مصرعه ، برصاصات رجال المخابرات الأمريكية ، وبكى (هارولد) فى أيديهم .

هتف (حسام) :

- يا إلهى !.. هذا سيثير حتماً أزمة ديبلوماسية عنيفة .

هز المدير رأسه ، وتنهَّد قائلاً :

- لا .. ليس بعد لحسن الحظ .. صحيح أننا فقدنا أحد رجالنا ، فى هذه العملية ، ولكننا كنا قد احتفظنا للأمر ، فلم يكن يحمل - عند مصرعه - أى شيء يمكن أن يشير إلى انتمائه .. ثيابه كانت أمريكية الصنع ، وسيارته مستأجرة باسم إيطالى ، وحجرته بالفلندق تحمل اسماً فرنسياً .. وحتى ملامحة لم تكن شرقية مثالية .. ولكن المشكلة هى أنهم قد اعتقلوا (هارولد) ، وسحاولون حتماً معرفة هويته ، وكل ما يعلمه عنا ، وعن وسائل الزرع ، والتدريبات اللازمة .. باختصار ، سيحاولون معرفة كل ما يتعلق بوسائلنا ، كما كنا سنفعل ، لو حدث العكس .

سألته (منى) :

- ألا توجد خطة بديلة ؟

أجابها المدير :

- بالتأكيد .. التدريبات التي تلقاها (هارولد)، تحث عليه أن يبذل قصارى جهده لاحتمال وسائل الأمريكيين في الاستجواب، حتى تتضبط قدرته على الاحتمال، وهنا يعلن أنه إسرائيلى الجنسية، مع قصة أخرى محكمة ومتقنة، يمكنها إقناعهم أنه كذلك بالفعل .

سأله (حسام) فى حذر :

- أنتظن هذا يقتنعهم ؟

هو المدير كتليه ، قائلاً :

- ليس طويلاً .. ولكنه سيضيع بعض الوقت على الأقل ، حتى ننجح فى استعادة رجئنا .

قال (حسام) فى حزم :

- أو قتله .

أدارت (منى) رأسها إليه فى حركة حادة ، والاستنكار يملأ كل خلجة من خلجاتها ، فالتقى حاجباه فى صرامة ، وهو يقول :

- إتينا لن نتركه لينقل إليهم أسرارنا .. أليس كذلك ؟

قالت فى حدة :

- لو كان (أدهم) فى مكانك لـ ...

قاطعها المدير فى لهجة قاسية :

- أخشى أن (حسام) على حق هذه المرة يا (منسى) .

و (هارولد) نفسه يعلم هذا ، والتدريبات التي تلقاها تجعله يتقبل الأمر كحل حتمى .

قالت فى انفعال :

- لو فشلنا فى استعادته .

أطلق المدير من أعماق صدره زفرة حارة ، وقال :

- أعتقد أن تتجحوا فى هذا ، فالأمر ليس هيناً ، إذ أنه لا يقتصر على أن (هارولد) بين يدي واحد من أقوى أجهزة المخابرات فى العالم فحسب ، بل يمتد أيضاً إلى أننا نجهل تماماً أين يحتفظون به . رفع (حسام) حاجبيه فى دهشة ، ثم عاد يخفضهما ، وهو يقول فى سخرية :

- يالها من مهمة !

هو المدير رأسه مؤبداً ، وأشار مرة أخرى إلى الشاشة ، وهو يقول :

- ولكن لدينا بعض المعلومات ، التي قد تليدكم فى هذا الشأن ، فهذا الذى ترونه على الشاشة الآن ، هو (جيمس فومستر) ، المعروف باسم (ثعلب المخابرات الأمريكية) ، وهو الممثل عن هذه العملية ، حسبما بلغنا ، وعن طريقه ، يمكنكم التوصل إلى (هارولد) .

تطلع (حسام) و (منى) فى اهتمام إلى صورة الرجل الأشيب ، المتين البنيان ، الحاد النظرات ، الذى يبدو على الشاشة ، مستغرقاً فى صيد الأسماك ، عند شاطئ إحدى البحيرات ، وغغم (حسام) :

- من ذا الذى يجهل (جيمس فومستر) ؟

انتهى العرض ، وأعيدت الأضواء إلى القاعة ، فنهض المدير ، قائلاً :

- كما قلت من قبل : مهمتكما هي أصعب ما واجه الإدارة ، منذ زمن طويل ، ولقد قُدرَ خبراؤنا أن (هارولد) يمكنه الاحتمال لأسبوع كامل ، ثم يلقي قصته الزائفة ، التي يحتاج رجال الـ (سى . آى . إيه) إلى أسبوع آخر لتفنيدها ، والتيقن من صحتها أو كذبها ، وهذا يعنى أن أمامكما أسبوعين فحسب ، لحسم المهمة ، دون خطة موضوعة مسبقاً وبكامل الحرية فى التصرف والأداء . وصمت لحظة ، وهو ينقل بصره بينهما ، قبل أن يتابع :

- إنها مهمتكما .. فلا تخذلانا .

قال (حسام) فى حزم :

- لن نخذلك ياسيدى .

وأضافت (منى) :

- بإذن الله .

وكانت البداية .

★ ★ ★



تطلع (حسام) و(منى) فى اهتمام إلى صورة الرجل الأشيب ، المتين النيان ، الحاد النظرات ، الذى يبدو على الشاشة ..

٣- الصراع ..

انطلقت عصا (جيمس فوستر) في دقّة ، لتضرب كرة (الجولف) الصغيرة ، وتدفعها في الهواء على شكل قوس طويل ، لتستقر إلى جوار حفرة صغيرة ، على بعد أربعين متراً تقريباً ، ترتفع منها راية صغيرة ، لتحديد موقعها ، وتطلع (فوستر) بمنظاره المقرب إلى موضع الكرة ، قبل أن يمسّ شفتيه ، متمتماً :
- لا بأس .

ابتسم الرجل الواقف إلى جواره ، وقال :
- إننى أراها ضربة رائعة .

هزّ (فوستر) كتفيه ، وقال :

- ولكنها لم تستقر في الحفرة نفسها .

قهقه الرجل ضاحكاً ، وقال :

- هكذا أنت دائماً يا (فوستر) .. لا ترضى إلا بالفوز المطلق .

رمقه (فوستر) بوحدة من نظراته الحادة ، وهو يقول :

- هذا ما ينبغي أن يطمح إليه كل رجل ناجح .

رَبَّت الرجل على كتفه ، وقال :

- وينبغي له أيضاً أن يقبل ما يصل إليه ، لو لم يفتح له الفوز

التام .

هزّ (فوستر) كتفيه مرة أخرى ، وقال :

- هذا رأيك .

كان الرجل يرغب في مواصلة الحوار مع (فوستر) ، لولا أن ظهر أحد رجال هذا الأخير ، بمنظاره الداكن ، وجسده الضخم ، وهو يتجه إليهما في خطوات واسعة ، فقال الرجل ، وهو يجمع أدواته ، قائلاً :

- فليكن .. سنناقش هذا فيما بعد يا (فوستر) ، فقد حضر أحد شياطينك ، ومن الواضح أنكما تحتاجان إلى شيء من السرية .

لم يناقشه (فوستر) في هذا الأمر ، وإن رمقه بنظرة أخرى من نظراته الحادة ، حتى انتهى من جمع أدواته وانصرف ، فالتفت - عندئذ - إلى الرجل الضخم ، وسأله :

- ما الأخبار ؟

تتحنن الرجل ، وأجاب :

- لم يعترف بعد .

التقى حاجبا (فوستر) في ضيق ، وهو يقول :

- لولا أننى دربتكم بنفسى ، لقلت إنكم أغبى رجال الجهاز .

تتحنن الرجل مرة أخرى ، وقال :

- لقد كان واحداً منا يا مستر (فوستر) ، وتلقّى نفس

تدريباتنا ، و... .

قاطعه (فوستر) في حدة :

- ولو .. إنه بشرى على الأقل ، وما من بشرى يمكنه احتمال

وسائلنا في الاستجواب ، وأنت تعلم هذا جيداً .

قال الرجل :

- نعم .. أعلم ، وأعلم أيضاً أنه من المحتم ألا تترك وسائلنا

هذه أية آثار واضحة على جسم من نستجوبه ، وإلا فلن يرحمنا

رجال القضاء حينذاك ، ولا رجال الد (إف . بي . آي) (*) ، فمن المفروض أن يتولوا هم قضايا الجاسوسية الداخلية ، إذ أن قرار الكونجرس الأخير ، يمنعنا من العمل داخل البلاد .

قال (فوستر) في صرامة :

- أعلم هذا .

رفع مضرب الجولف ، وأخذ يلوح به لحظات في صمت ، قبل أن يسأل الرجل :

- هل نقلتم الرجل إلى المنزل الثاني ؟

أوما الرجل برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم .. إننا نقلناه إلى منزل آمن جديد .. كل ثلاثة أيام .

بحسب أوامرك ، وإن ..

بتر عبارته دفعة واحدة ، فسأله (فوستر) :

- وإن ماذا ؟

تردد الرجل لحظة ، ثم هز كتفيه ، وقال :

- وإن كنت أجد هذا نوعاً من المبالغة في الحذر ، فـ (هارولد)

نفسه لم يكن يعلم أماكن هذه المنازل الآمنة ، ولا ..

قاطعه (فوستر) في غضب :

- أهذا ما علمتكم إياه ؟ لا يا (داني) .. في عالمنا ، المبالغة

في الحذر أفضل ألف مرة من التهاون ، والشكوك أكثر فائدة من الثقة .

وعاد يلوح بعصاه ، مستطرداً :

- هذا الرجل ينتمي إلى جهاز مخابرات آخر يا (داني) ،

وسيحاول - حتى الرمي الأخير - إخفاء اسم هذا الجهاز ، وبعدها

سيبرد على مسامعنا قصة كاذبة ، حول انتمائه إلى جهاز مخابرات آخر على الأرجح ، في محاولة لكسب بعض الوقت ، ومن المحتمل أن جهاز المخابرات ، الذي ينتمي إليه هذا الوغد ، سيبدل أقصى جهده لاستعادته ، وإنقاذه من بين أيدينا ، أو قتله لو اقتضى الأمر ، ومن الضروري أن نجعل مهمتهم هذه وعرة ، شديدة الصعوبة ، وأن ننجح في اقتناصهم ، قبل أن يبلغوا غايتهم .

ابتسم (داني) ، وقال :

- هذا لن يتأتى بالمبالغة في إجراءات الأمن .

شرد بصر (فوستر) لحظات ، وهو يقول :

- إن لدى أفكاري في هذا الشأن يا (داني) .

وارتسمت على ركن شفتيه ابتسامة باهتة ، قبل أن يستطرد :

- دعني أنا أدير اللعبة بأسلوبى ، وسترى أننا سنربحها

يا (داني) .. سنربحها تماماً .

« لقد عاد (فوستر) إلى منزله .. »

قالها (حسام) في اهتمام شديد ، وهو يضع منظاره المقرب

على عينيه ، داخل تلك المنزل ، الذي استأجره ، في مواجهة

منزل (فوستر) تماماً ، فاعتدلت (منى) تسأله في هدوء :

- وهل يلبينا هذا ؟

رفع منظاره عن عينيه ، والتفت إليها ، قائلاً في برود :

- هل تقترحين وسيلة أخرى ؟ .. إننا نجعل كل شيء عن

المكان ، الذي يحتفظون فيه بـ (هارولد) ، والشيء الوحيد الذي

نعرفه عن القضية كلها ، هو أن (جيمس فومستر) هو المسئول
عن هذه العملية ، ولا توجد وسيلة إذن ، سوى مراقبة (فومستر)
اللعين هذا الليل ونهاراً ، حتى يمكننا التوصل إلى (هارولد) ، إلا إذا
كان لديك اقتراح آخر .
قالت بنفس الهدوء :

- المراقبة وحدها لا تكفى .. إننا نحتاج إلى إحصاء أنفاسه ، لو
اقتضى الأمر ، فقد لا يذهب أبداً إلى حيث يحتفظون به (هارولد) ،
بل يكتفى بالقاء أوامره إلى رجاله فحسب .
سألها في عصبية :

- وماذا نفعل في هذه الحالة ، أيتها الصبورية ؟
قالت في حماس :

- نتمسك إلى منزله .. إلى نادى (الجولف) الذى يشترك
فيه .. نزرع أجهزة تصلت فى هاتفه ، وسيارته ، وكل ركن من
منزله ، وحتى فى علية أدوات الجولف .. المهم أن نعثر على
(هارولد) قبل مضي الفترة المنشودة ..
هتف فى حدة :

- أتعلمين أى أمر هذا ، الذى تطالبيننى به ؟ .. إنك تطالبين منى
- وبكل بساطة - اقتحام منزل (جيمس إدوارد فومستر) نائب مدير
جهاز المخابرات المركزية الأمريكية ، وزرع أجهزة تصنت فى
كل ركن فيه ، كما لو كان حقلاً خالياً ، نزرع فيه بعض شتلات
البرترقال .. لا أيتها الزميلة العزيزة .. إنك فى الواقع تطالبين
المستحيل .

ابتسمت فى خبث ، وهى تقول :

- وماذا فى هذا .. ألمت تسعى للحصول على اللقب ؟
سألها فى توتر :
- أى لقب ؟
أجابته :
- رجل المستحيل .

شعرت وهى تنطقها أنها ترتكب جرماً فى حق (أدهم
صبورى) .. الرجل الوحيد الذى حمل يوماً هذا اللقب ، ولكنها ،
وعلى الرغم من رغبتها الشديدة فى نجاح المهمة ، كانت تشعر
بشئ من السعادة ، لأن أحداً لا يمكنه بلوغ مقدرة (أدهم
صبورى) ..

ولكن (حسام) شعر بالتحذى ..
ومع التقاء حاجبيه ، تفجرت فى أعماقه روح الصراع
والتحدى والعناد ، فاعتدل قائلاً :

- صدقت .. لابد من العمل ، للحصول على ما يبتغيه المرء .
وأزاح منظاره المقرب جتياً ، وهو يضيف :
- الليلة سنأقل الصراع إلى منطقة التحدى .
وانتصبت قامته فى اعتداد ، وهو يضيف :
- والخطر ..

شبك مدير المخابرات المصرية أصابع كفيه أمام وجهه ،
والتقى حاجباه فى تفكير صامت عميق ، ورسم القلق خطوطه
الواضحة على ملامحه ، مما حدا بمساعده إلى أن يسأله :
- أهنك ما يستحق كل هذا ؟

لوح مساعده بكتفه ، وقال :

- أعلم أنك لم تنس بعد ذلك الرجل ياسيدى ، وأنتك تشعر بعد رحيله بخواء كبير ، فى قسم الاعمال الخارجية والمهمات الصعبة ، ولكنها حتمية الكون ياسيدى .. لكل شيء نهاية ، و (أدهم صبرى) هذا مجرد بشر ، ومصير البشر كلهم الفناء ، والحكمة القديمة تقول : «لا يوجد من لا يمكن الاستغناء عنه» كما أن القبور مليئة بأولئك ، الذين ظنوا أن الحياة لن تسير بدونهم .. كلهم فنوا ، وانتهوا ، وواصلت الحياة طريقها ، و...

قاطعة المدير بإشارة من يده ، وهو يقول :

- حسناً .. لا ادعى لهذه المحاضرة الطويلة .. أعلم أن (أدهم صبرى) قد انتهى ، وأن (حسام حمدي) هو رجلنا الجديد ، للمهام الصعبة والمستحيلة ، ولكن من الطبيعى أن أشعر بالقلق ، وهو يخوض أولى عملياته العسيرة ، فعلى الرغم من تفوقه الكبير فى كل الاختبارات والتدريبات ، فالعمل الفعلى يختلف كثيراً ، إذ أنه يحتاج إلى مزيج من الحكمة والخبرة والتفوق .

قال مساعده فى حزم :

- سترى أن (حسام) سيحقق نجاحاً مدهشاً ، فى المهمة .
صمت المدير لحظات ، ثم قال فى خفوت :
- هذا ما أتمناه .

وصمت لحظة أخرى ، ثم استطرد :

- أتعلم .. لو حقق (حسام) ، فى مهمته هذه ، ذلك النجاح الذى نرجوه ، فلن أتردد فى أن أمنحه بنفسى لقب (أدهم صبرى) السابق .

وامتلاً صوته بالحزم ، وهو يضيف :

- لقب (رجل المستحيل) .

التفت إليه المدير فى سرود لحظى ، ثم لم يلبث أن تلاشى ،

وهو يقول :

- نعم .. أعتقد هذا .

سأله مساعده فى اهتمام :

- وما هذا الشيء ؟

هز المدير رأسه لحظات ، قبل أن يقول :

- قضية (هارولد دين) .. أعتقد أن (حسام) و(منى)

يمكنهما النجاح ، فى مثل هذه المهمة ؟

أجابته المساعده :

- ولم لا ؟ .. صحيح أنها ليست مهمة سهلة ، ولكن (حسام)

هذا أثبت تفوقاً ملحوظاً فى تدريباته كلها ، ثم أنه داهية حقيقى ،

وأراهن أنه يستطيع مواجهة كل رجال المخابرات الأمريكية .

مط المدير شفتيه ، وقال :

- لا ادعى للمبالغة .

قال المساعده فى حماس :

- ولماذا تعتبرها مبالغة ياسيدى ؟ .. ألم تحقق انتصارات

أعظم فيما مضى ؟

أوما المدير برأسه إيجاباً ، وقال :

- كان هذا فيما مضى .

بدا الضيق على وجه المساعده ، وهو يقول :

- نقصد فى الأيام الذهبية لـ (أدهم صبرى) .. أليس كذلك ؟

هز المدير كتفيه ، قائلاً :

- ربما .

٤ - القنبلة ..

كانت عقارب الساعة تشير إلى الواحدة بعد منتصف الليل ، عندما أوقفت (منى) سيارتها الرياضية الأنيقة ، أمام منزل (جيمس فوستر) مباشرة ، وهي تضع على رأسها شعراً أشقر مستعاراً ، وعلى عينيها عدستين زرقاوين ، وتبالغ في وضع مساحيق وجهها ، مع ثوب زاهي الألوان ، وغادرت السيارة متجهة إلى المنزل ، وهي تلقي نظرة هادئة على حارسه ، اللذين امتدت أيديهما إلى ستراتهما المنطفخة ، تحلفراً لأى طارئ ..

وفي هدوء مثير ، قالت (منى) بالأمريكية ، وهي تضي على حروفها لكنة ذات نهايات معطوطة متعمدة :

- أريد مقابلة مستر (فوستر) .

سألها أحد الحارسين في خشونة :

- أهنك موعد سابق ؟

هزت رأسها نفياً ، وقالت :

- لا .. لم أطلب تحديد مواعيد سابقة ، ولكننى أعتقد أن مستر

(فوستر) سيوافق على مقابلتى .

ابتسم الحارس الثانى فى سخرية ، وهو يقول :

- ومن أفتحك بهذه الفكرة الغبية .

رمقته بنظرة ساخرة بدورها ، وهي تقول :

- (هارولد) .. (هارولد دين) .

التقى حاجبا الحارسين ، وتبادلا نظرة خاصة ، ثم سألها الأول بنفس الخشونة :

- من قلت ؟ ..

قالت فى صرامة :

- أخبر مستر (فوستر) أننى أرغب فى مقابلته ، بشأن (هارولد دين) .

رمى الرجل لحظات بنظرة حادة ، ثم التفت جهاز اللاسلكى الخاص به ، وقال دون أن يرفع عينيه عنها :

- هناك امرأة تطلب مقابلة مستر (فوستر) ، وتقول : إن هذا بشأن (هارولد) .

قالت فى برود :

- قل : سيذة أبها الوقح ، ولا تقل : امرأة .

عاد يرمى مقها بنظرته الحادة ، وهو يلصق جهاز اللاسلكى بأذنه ، ليستمع إلى الجواب ، ثم لم يلبث أن قال :

- سيستقبلك مستر (فوستر) على الفور .

ابتسمت فى سخرية ، قائلة :

- ألم أقل لك ؟

انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يقول :

- سيتم تفتيشك أولاً .

تراجعت قائلة فى حزم :

- لن أسمح لأحدكم بلمسى .

ابتسم ساخراً ، وهو يقول :

- اطمئنى .. لن يلمسك أحد .

وفتح باب المنزل ، ودعاها للدخول ، ولم تكد تعبر الباب ،
حتى ارتفع أزيز متصل ، فتوقفت لحظة ، ثم عاودت السير ،
وهي تقول :

- إنه جهاز كشف أسلحة . أليس كذلك ؟

غمغم :

- نعم .. وهو ليس وسيلة الفحص الوحيدة ، فمعظم الأسلحة
تصنع من البلاستيك والألياف الزجاجية الآن ، في (تايوان)
(وسنغافورة) ، و(هونج كونج) ، وأصبح من السهل خداع
جهاز كشف الكذب (*) .

سألته ساخرة :

- وما الأشياء الأخرى التي سنعبرها ؟

أجابها وكأنه يتباهى بقوته :

- الكثير .. هناك جهاز لأشعة (رونجن) (**). وجهاز

كشف أجهزة التصنت ، وغيرها ..

تمتمت :

- عظيم .. هل يشعر رئيسك بكل هذا الخوف ، طيلة الوقت ؟

رمقها بنظرة نارية ، دون أن يجيب ، وظل على صمته هذا ،
وهما يعبران العمر الطويل ، وأزيز الأجهزة المختلفة ينطلق ، من
لحظة إلى أخرى ، حتى بلغا باباً كبيراً ، دفعه الرجل ، قائلاً :

(*) حقيقة

(***) أشعة (رونجن) : هي الأشعة المعروفة باسم أشعة (x) ، أو الأشعة
السينية ، واسم أشعة (رونجن) ينسبها إلى مخترعها .

- ادخلي .

- عبرت (منى) الباب لتجد أمامها (فوستر) مباشرة ، يقف
داخل مكتبة ضخمة ، تكتظ بالآلاف الكتب والمراجع ، ويرمقها
بواحدة من نظراته الحادة ، قائلاً :

- مساء الخير ياسيدتى .. أم هل أقول صباح الخير ؟ إنها
الواحدة صباحاً تقريباً .. أليس كذلك ؟

هزت كتفها ، قائلة :

- لمست أدرى ، فلا أميل إلى ارتداء ساعات اليد .

قال في برود :

- عجباً .. هذا يتعارض تماماً مع نظم العمل في المخابرات .

أطلقت ضحكة قصيرة ، قائلة :

- حقاً ؟

ثم جالت ببصرها في المكان ، مستطردة :

- ألا يوجد مقعد واحد ، يصلح للجلوس ؟

أجاب وهو يفحصها بنظراته الحادة :

- أنظنين أن حديثنا سيحتاج إلى كل هذا الوقت ؟

هزت كتفها دون أن تجيب ، فسألها :

- ما علاقتك بـ (هارولد دين) ؟

قالت على الفور :

- كم تطلب أنت ثمناً له ؟

ارتفع حاجباه في دهشة ، وهو يقول :

- ثمناً له ؟! .. أى قول هذا ياسيدتى .. أتدركين حقاً طبيعة

الموقف ؟

- عظيم .. بعد دقيقة واحدة ، وبضع ثوان ، سينفجر الجناح الخلفى لمنزلك .

تراجع هاتفاً :

- ماذا ؟

قالت بابتسامة وثقة :

- انتظر .. وسترى .

انتعد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلع إلى ساعته ، ثم اندفع إلى باب المكتبة ، وهتف بأحد رجاله :

- (توم) .. قف على باب الحجرة ، ولا تسمح لتلك السيدة بالخروج .

واندفع خارج المكان ، تاركا (منى) وحدها ، وأغلق الباب خلفه فى إحكام ..

وهنا ألقت (منى) نظرة سريعة على بابى الحجرة .. ذلك الذى يقود إلى خارج المنزل ، والآخر الذى يقود إلى داخله ، ثم أسرع إلى النافذة ، لافتحتها على مصراعها وغصمت :

- أتخشى أن يكون تصويبك دقيقاً يا (حسام) ، مثل ..

بترت قولها ، وارتسمت فى ذهنها صورة (أدهم) لحظة ، قبل أن تهز رأسها فى قوة ، قائلة :

- لا .. ينبغي أن يحصل (حسام) على فرصة كاملة .

مضت اللحظات بالنسبة إليها أشبه بالدهر ، وأصوات ذلك الاضطراب ، الذى أصاب المنزل ، تبلغ مسامعها ، وبدا لها من الواضح أن (فوستر) ورجاله يحاولون إخلاء الجناح الخلفى من الرجال ، ومن الأشياء الهامة ، قبل حدوث الانفجار ، و..

أومات برأسها إيجاباً ، وقالت :

- بالطبع ، وأدرك أن هذا يتعارض تماماً مع طبيعة عملنا ،

ولكن ..

قاطعها فى حزم :

- إلى أية دولة تنتمين ؟

فهلكت ضاحكة ، وهى تقول :

- ياله من سؤال !.. أتتوقع الحصول على الجواب فى سهولة ؟

قال فى ضراوة :

- يمكننى الحصول عليه بوسائل أكثر صعوبة .. لك .

فهلكت ضاحكة مرة أخرى ، وقالت :

- لا تحاول إغافتي وإرهابي يا مستر (فوستر) ، فمن المؤكد

أننى لم أحضر لمقابلتك ، دون تأمين موقفى .. أليس كذلك ؟

قال فى حدة :

- وماذا يمكنك أن تفعلى ، لو ألقيت القبض عليك الآن ؟

هزت كتفها مرة أخرى ، وقالت :

- بالنسبة لى لن أفعل شيئاً ، ولكن رفاقى سيفعلون .

قال فى حذر :

- يفعلون ماذا ؟

سألته :

- قل لى أولاً : كم الساعة بالضبط ؟

ألقت نظرة سريعة على ساعة يده ، وقال :

- الواحدة وتسع دقائق ، إلا بضع ثوان .

هتكت :

ودوى الانفجار ..
انفجار مكتوم ، دوى بارتجاج خفيف ، هتفت معه (منى) :
- الآن ..
وفى نفس اللحظة رأت ما كانت تنتظره ..
سهم عادى ، يشق الهواء ، فى اتجاه النافذة ..
ثم يعبرها ..
وعند قدميها ، ارتطم السهم بالأرض ، وانكسر إلى نصفين ،
وسقط منه كيس صغير ، أسرعت (منى) لتلتقطه ، وهى تهتف فى
حرارة : .

- رائع يا (حسام) .. رائع .
فتحت الكيس فى سرعة ، والتقطت من داخله جهازى تصنت
صغيرين ، أسرعت تدس أحدهما فى المكتبة ، والآخر عند
الحائط المتصل بالمنزل من الداخل ، ثم عادت تغلق النافذة ،
وحطمت السهم إلى قطع صغيرة ، ألقتها فى حقيبة يدها
الصغيرة ، ووطوت الكيس إلى جوارها ، وأغلقت حقيبتها ، فى
نفس اللحظة التى دفع فيها (فوستر) باب الحجرة ، وقال فى
حدة :

- أى عيب هذا ؟
كانت تشعر بتوتر شديد ، ولكنها أرغمت نفسها على
الابتسام ، وهى تقول :

- أنقصد أن القنبلة لم تنفجر فى الجناح الخلفى ؟ .. بالطبع
يا ماستر (فوستر) .. لقد انفجرت على بعد أمتار منه .. أليس
كذلك ؟ .. لقد قصدنا هذا يا ماستر (فوستر) ، فنحن لا نرغب فى
مناصبتك العداء ، بل نحاول تنبيهك فقط إلى أننا لسنا بالمبتدئين أو
الهيئين ، وأن التفاوض معنا خير من قتالنا .



واندفع خارج المكان ، تاركا (منى) وحدها ، وأغلق الباب خلفه فى
إحكام ..

رمقها بنظرة حادة طويلة صامتة ، ثم قال :

- ومن أنتم بالضبط ؟

اعتذلت قائلة :

- ستعلم فيما بعد .

ثم استدارت مستطردة :

- أما الآن ، فسأصرف ، ..

قفز نحوها ، وأمسك يدها في قوة ، هاتفاً :

- مهلاً .. الاتصراف من هنا ليس هيناً كما تظنون .

قالت في صرامة .

- وماذا ستفعل ؟ .. هل تعتقلني أم تقتلني ؟

صمت متطلعا إليها ، فأضافت :

- ولتعلم أنني أحمل جواز سفر دبلوماسياً ، ولقد تم التنازل فيلم

كامل لي ، وأنا أدخل إلى منزلك ، ولست أظنك ترغب في بعض

المشاكل الدبلوماسية يا مستر (فوستر) .. أليس كذلك ؟

بدا الغضب على وجهه ، وأصابعه تنفرس في ثراعتها بقوة ،

ثم لم يلبث أن أفلتها ، قائلاً في حدة :

- فليكن .. يمكنك الاتصراف ، ولكن حذار .. فلن تجدى هذه

اللحظة شهراً واحداً للاختلاء بنفسك ، في الولايات المتحدة

الأمريكية كلها .

قالت في صرامة :

- حذار أنت من أن تدفع رجالك لمراقبتى ، وإلا .

قاطعها في غضب :

- وإلا ماذا ؟

ابهتت في سخرية ، وقالت :

- ستعلم فيما بعد .

تطلع إليها في صمت حاد ، ثم ضغط زرّاً صغيراً خفياً ، فظهر

الرجل الذى قاد (منى) إلى الداخل ، وقال له (فوستر) :

- اصحب السيدة إلى الخارج ، ودعها تنصرف دون

مشاكل .. هل تفهم ؟

أوماً الرجل برأسه إيجاباً ، وقال :

- أفهم يا سيدي .

لوّحت (منى) بكفها لـ (فوستر) ، قائلة :

- سنلتقى فيما بعد يا عزيزى (فوستر) .

تركها (فوستر) تنصرف ، ثم اتعقد حاجباه في شدة ، وأدار

عينيه في المكتبة ، قبل أن يفهم :

- لا يمكنك خداعى أبداً أيها المرأة .. لقد أتيت إلى هنا لعمل

ما ، وسأعلم حتماً ما هو .. لا يمكنك خداع (جيمس فوستر)

أبداً .. أبداً ..

والتمعت عيناه بهريق حاد مخيف ..

هريق يحمل لون الخطر ..

.. ورائحة الدم .

٥- خدعة ..

ساد الهدوء التام لملاعب الجولف ، فى الثالثة صباحاً ، وكان من العسير أن ينتبه مخلوق واحد إلى ذلك الشاب ، الذى عبر سور الملاعب فى مرونة ، وانطلق يعدو فوق الحشائش القصيرة فى خفة ، مقترباً من المبنى الرنىسى ، فى ركن المساحة الخضراء الشاسعة ، حتى بلغ باب المبنى ، فانهض يعالج رتاجه فى مهارة تجسد عليها ، حتى استجاب له الرتاج ، وانزلق بصوت مكتوم ، فدفع الشاب الباب ، ودلف إلى المبنى فى حركة سريعة ، ثم أغلق الباب خلفه ، والتصق بالحائط فى صمت ، وهو يرهف سمعه جيداً ..

كانت خطوات حارس المكان تبدو واضحة ، وهو يسير فى الممشى المجاور جينة وذهاباً ، ثم يفتح بعض الحجرات لتفقدھا ، قبل أن يعاود سيره ..

وكان من الواضح أنه حارس نشط ، إذ أنه لم يتوقف عن الحركة طيلة نصف ساعة كاملة ، قضاهها الشاب ملتصقاً بالحائط .. مستتراً بظلام الركن الذى يختبئ فيه ، حتى تتم فى ضيق .

- يبدو أنه لا مفر من الحركة .

غادر موقعه فى خفة ، مستغلاً ابتعاد الحارس ، وعبر الممر الطويل فى سرعة ، حتى بلغ حجرة محدودة مسبقاً ، فدفع بابها ،

ودخلها فى سرعة ، ثم أغلق الباب خلفه فى حذر ، وأخرج مصباحاً يدوياً ، صوبه إلى الحجرة التى تحوى عدة دواليب خشبية ، ذات واجهات زجاجية ، اصطفت داخلها حقائب أدوات الجولف ، وكل منها تحمل اسم صاحبها ، وراح الشاب يقرأ الأسماء المدونة على الحقائب ، حتى بلغ تلك الحقيبة ، التى تحمل اسم (جيمس فوستر) ، فابتسم فى ارتياح ، متمتماً :
- ها هو ذا الهدف .

أمسك المصباح بأسنانه ، وهو يعالج قفل الدواليب ، حتى فتحه ، مستخدماً أداة رفيعة ، ثم فتح الدواليب ، والتقط الحقيبة ، وأفرغ محتوياتها فى حرص ، وانتزع قاعدتها الداخلية فى عناية ، وأخرج من جيبه أداة تصنت دقيقة ، ثبتها فى ركن الحقيبة ، ثم أعاد القاعدة الداخلية إلى موضعها ، وعاد يصف المحتويات داخل الحقيبة ، وأعادها إلى مكانها داخل الدواليب ، قبل أن يعيد إغلاقه بمنتهى الحرص ، و...

وفجأة انفتح الباب ، وارتفع صوت الحارس ، وهو يهتف فى دهشة :

- ماذا تفعل هنا ؟

قالها الحارس وهو ينتزع مسدسه ، من جرابه المشتبى بحزامه ، ولكن (حسام) تحرك فى سرعة وخفة ، وقلز نحو الحارس ، ثم ركل المسدس من يده ، وهو يقول فى صرامة :

- تساننى ماذا تفعل هنا ؟

وهوى على فكه بكلمة عنيفة مستطرداً :

- ياله من سؤال وقع !

كانت الكلمة قوية بالفعل كالقنبلة ، فاندفع الحارس إلى الخلف فى عنف ، وارتطم بالحائط ، ثم ارتد إلى الأمام ، فاستقبلته قبضة (حسام) بكلمة أشد قرة ، وهو يقول :

- لن أخبرك عن السبب بالطبع .

سقط الحارس فاقطد الوعي ، عند قدمي (حسام) ، الذي أراحه جانباً في هدوء ، ثم قال :

- مواجهتنا هذه تفسد هدوء اللعبة بآرجل ، وتضطرني إلى تبديل خطتي بعض الشيء .

ثم اتجه في هدوء إلى حجرة مدير النادي ، وألقى نظرة على الخزنة المجاورة لمكتبه ، وابتسم قائلاً :

- واستقلال بعض مهاراتي الأخرى .

ثم اتجه إلى الخزنة ، وسحب مقعداً ، ليجلس أمامها في هدوء ، ويبدأ في معالجة رتاجها الإلكتروني ..

ويثبت مهارته ..

★ ★ ★

لم تكن عقارب الساعة تشير إلى الخامسة صباحاً ، حتى دفعت (منى) باب ذلك المنزل ، الذي استأجرته المخابرات المصرية ، في مواجهة منزل (فومستر) ، وهتفت بـ (حسام) ، الذي جلس هادئاً في ردهة المنزل ، ينظف مسدسه :

- هل أنهيت مهمتك بنجاح ؟

أوما برأسه إيجاباً ، وسألها :

- وماذا عن مهمتك أنت ؟

أثقت جسدها على مقعد مقابل له ، وهي تهتف :

- كل شيء سار على ما يرام .. وأنت كنت رالعباً ، عندما

صوّبت السهم إلى نافذة مكتب (فومستر) ، وأطلقته بهذه

المهارة .

ابتسم قائلاً :

- يسعدني أن فعلت شيئاً أثار إعجابك .

تابعت وكأنها لم تسمع هذا التعليق :

- وعندما سمح لي (فومستر) بالانصراف ، أدركت أنه لن

يسمح بخروجي دون مراقبة ، على الرغم من أنه أمر رجاله

بهذا ، وكنت على حق ، فالعبارة البريئة ، التي ألقاها على مسامع

حارسه أمامي ، كانت تعني بلغتهم معنى مخالفاً تماماً لمنطوقها ،

إذ لم أكد أنطلق بالسيارة ، حتى انطلقت واحدة من سياراتهم

خلفي ، وهم يستخدمون مناظير للرؤية الليلية ، بحيث

لا يحتاجون إلى إضاءة مصابيح سياراتهم ، ولكنني لمحتهم ،

وكنت واثقة من أنهم قد نسوا جهاز مراقبة في سيارتي ، في أثناء

وجودي مع (فومستر) ؛ ولهذا فقد قادت السيارة إلى منطقة

بعيدة ، ثم تركتها في موقف عام للسيارات ، ورحلت أراوغ

المطاردين طيلة أربع ساعات ، فأدخل إلى مكان ما ، وأفر عبر

سطحه إلى آخر ، وانتقل من هيئة إلى هيئة ، حتى نجحت في

تضليلهم تماماً ، ووصلت إلى هنا .

قال مبتسماً :

- رائع .

ثم التفت نفساً عميقاً ، قبل أن يضيف :

- الآن يمكننا مراقبة (جيمس فومستر) كظله ، فجهازي

التصنت ، اللذين تمت زراعتهما في منزله ، من القوة بحيث

يمكنهما نقل كل همسة تدور داخل المنزل ، وكذلك الجهاز الذي

نصنعه في حقيبة الجولف .

سألته في اهتمام :

- هل أخفيته جيداً؟

أجابني :

- بالذات ، ولكن الحارس فاجأني ، بعد أن انتهيت من مهمتي ، فـ طررت إلى إلقاءه الوعي .

هتفت في ارتياح :

- يا إلهي!.. ولكن هذا يفسد اللعبة كلها .

هز رأسه نفيًا ، وقال :

- ليس تمامًا ، فلقد لجأت عندئذ إلى حل بسيط ، إذ استوليت على محتويات خزانة النادي ، بحيث يبدو الأمر كما لو أنني مجرد لص عادي .

قالت في قلبي :

- فلنتعشم أن يقتنعوا بهذا .

هز كتفيه ، وقال :

- ولم لا؟.. كل ما حدث ينطبق على أفعال اللصوص تمامًا .

التفتي حاجباها ، وهي تقول :

- ربما يا (جيسام) .. ربما .. صحيح أننا أعدنا كل شيء في

مهارة ، ولكن لا تنس أننا لا نواجه خصمًا عاديًا ، بل نواجه الثعلب نفسه .. ثعلب المخابرات .

شعر (جيسام فوستر) بالدهشة ، وهو يذلف إلى ناديه في الصباح ، عندما رأى رجال الشرطة يملأون المكان ، وبعضهم يفحص حجرة المدير ، والخزانة المفتوحة الخالية ، فأتجه إلى المدير يسأله :

- ماذا حدث يا مستر (كارل)؟

نوح المدير بكفيه قائلًا :

- لا شيء يدعو للقلق يا مستر (فوستر) .. إنها حادثة سرقة عادية ، ولكن اللص كان سيئ الحظ ، فلم يكن بالخزانة سوى ألف دولار فحسب .

رذذ (فوستر) في بطنه عجيب :

- ألف دولار!؟ .. وكيف ارتكب جريمة؟

أجابته المدير :

- لقد تسلل عبر الملاعب ، إلى المبنى الإداري ، وفتح الخزانة في مهارة ، و...

قاطعه (فوستر) في اهتمام :

- وأين كان الحارس؟

أجابته المدير في أسف :

- لقد فاجأه الحارس في حجرة الأدوات ، ولكن اللص هاجمه ، وألقاه الوعي ، و...

قاطعه (فوستر) مرة أخرى :

- في حجرة الأدوات!؟.. وما الذي كان يفعله اللص ، في حجرة الأدوات؟

هز المدير كتفيه ، قائلًا :

- ربما كان يبحث عن الخزانة ، أو ..

وللمرة الثالثة ، قاطعه (فوستر) :

- يبحث عنها!؟.. هل تحاول إقناعي بأن لصاً محترفاً قد اقتحم المكان ، لسرقة الخزانة ، دون أن يعلم موضعها مسبقاً؟

أجابه المدير فى توتر :
 - لمست أحاول إقناعك بشيء يا مستر (فوستر) .. إننى أرجح
 هذا فحسب .
 مط (فوستر) شفتيه ، وقال فى برود :
 - بالتأكد .
 ثم اتجه فى خطوات واسعة إلى الهاتف ، والنقط ساعته ،
 وهو يستطرد لنفسه فى خفوت :
 - ولكن عقلى يشعر بالقلق .
 ضغط أزرار الهاتف فى سرعة ، وانتظر حتى سمع صوت
 محدثه ، فقال :
 - إنه أنا يا (دانى) .. رئيسك (فوستر) .. اسمعنى جيداً ..
 أريدك هنا على الفور ، فى نادى (الجولف) .. هيا .. بأسرع
 ما يمكنك .
 أنهى المحادثة ، دون أن ينتظر جواباً ، ثم اتجه إلى حجرة
 الأدوات ، وقال للعامل الكهل ، المستول عنها :
 - أين حقيبتى يا (جون) ؟
 ناوله العامل الكهل الحقيبة ، وهو يقول :
 - ها هى ذى يا مستر (فوستر) .. إننى أعنى بها جيداً .
 التقط (فوستر) الحقيبة ، وفحصها فى اهتمام ، ثم أفرغ
 العصى كلها منها ، وأخذ يتطلع إليها فى حذر ، جعل العامل يسأله
 قلقاً :
 - ماذا هناك يا مستر (فوستر) ؟ .. هل تجد عيباً فى أدواتك ؟
 هز (فوستر) رأسه نفيماً ، وقال :

- لا يا (جون) .. لمست أجد بها عيباً .
 وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :
 - أقصد عيباً واضحاً .
 ثم رفع رأسه إلى (جون) ، وقال :
 - اسمع يا (جون) .. يبدو أننى لن أستخدم هذه الأدوات
 اليوم .. أجمعها كلها ، وضعها فى حقيبة مستر (كول) ، واحضر
 لى كل أدوات مستر (كول) كما أريد كرات جديدة .
 سأله العامل فى دهشة :
 - ولماذا كل هذا يا مستر (فوستر) ؟
 أجابه فى برود :
 - اعتبره نوعاً من التمسك بالخرافات يا (جون) ولكن نفذ
 ما أمرك به .
 أطاعه العامل الكهل فى حيرة ، فأحضر حقيبة (كول) ونقل
 محتوياتها إلى حقيبة (فوستر) ، ثم صنع العكس بأدوات هذا
 الأخير ، وقال :
 - أتامر بشيء آخر يا مستر (فوستر) ؟
 أجابه (فوستر) ، وهو يلتقط حقيبته ، التى تحوى أدوات
 (كول) :
 - نعم يا (جون) .. أريد منك أن تعطى حقيبة (كول) ، وبها
 أدواتى ، إلى مستر (دانى) ، عندما يحضر بعد قليل ، وتطلب منه
 فحصها جيداً .. هل تفهم ؟
 أوماً الرجل برأسه أجاباً ، وقال :
 - نعم يا مستر (فوستر) .. أفهم .. أفهم تماماً .

أخرج (فوستر) من جيبه ورقة وقلماً ، ودون بعض الكلمات
في الورقة ، ثم طواها وناولها لـ (جون) ، قائلاً :
- أعطه هذا الأمر الكتابي لتنفيذ هذا .
وضحك مستطرداً :

- إنك تدرك تعقيدات البيروقراطية .. أليس كذلك ؟
ابتسم (جون) ابتسامة مرئية ، وهو يقول :
- بلى يا مستر (فوستر) .. بلى .

حمل (فوستر) حقيبة أدواته في هدوء ، واتجه إلى ملعب
الجولف ، وراح يضرب الكرات الجديدة في دقة وهدوء مثيرين ،
حتى ظهر (داني) بهجسه الضخم ومنظاره الداكن ، واتجه إليه
عبر الملعب ، وقال :

- صباح الخير أيها الرئيس .

قال (فوستر) ، وهو يضرب كرتة في هدوء :

- صباح الخير يا (داني) .. هل تسلمت الأشياء من (جون) ؟
أوماً (داني) برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم .. تسلمتها كلها ، وسيتم فحصها جيداً .

سار (فوستر) حتى موضع الكرة الجديد ، وهو يقول
لـ (داني) ، الذي تبعه في صمت وهدوء :

- عظيم .. والآن أريد منك أن تذهب على الفور إلى المنزل الآمن
رقم (ثمانية) ، وتقوم بنقل (هارولد) إلى المنزل رقم (تسعة) .

قال (داني) معترضاً :

- ولكننا نقلناه إلى رقم (ثمانية) أمس فحسب .

قال (فوستر) في صرامة :



أطاعه العامل الكهل في حيرة ، فأحضر حقيبة (كول) ونقل محتوياتها
إلى حقيبة (فوستر) ..

نفذ الأوامر .

مطاً (داني) شفطيه ، وقال :

كما تأمر أيها الرئيس .

واستدار مضمراً ، دون أن يضيف حرفاً واحداً ..

وفي نفس اللحظة ، وفي سيارة أنيقة ، تقف خارج نادي (الجولف) ، هتف (حسام) ، الذي نقل إليه جهاز التصنت ، المثبت في حقيبة (فوستر) ، كل حرف تبادلته هذا الأخير مع (داني) :

نجحت خطتنا أيتها الرائد .. سيذهب (داني) الآن إلى حيث

يحتفظون بـ (هارولد) .

سأنته (مني) في انفعال :

أنظننا نستطيع تتبعه ، دون أن ينتبه إلى وجودنا ؟

أجابها في حزم ، وهو يلتقط حقيبته الصغيرة :

بالتأكيد .

قالت محذرة :

لا تنس أنه محترف ، وسيكشف أمرنا في سهولة .

قال مبتسماً :

أعلم هذا .

والتقط من حقيبته جهاز مراقبة صغير ، في حجم زر قميص

عادي ، وهو يقول :

سنترك لصديقنا الصغير هذا المهمة كلها .

قالها وغادر السيارة في خفة ، واتجه إلى حيث سيارة (داني)

وهناك أسقط منديله ، في حركة بدت طبيعية للغاية ، وانحنى

ليلتقطه ، واستند مع تلك الاتحانة على حقيبة سيارة (داني) ، على نحو بدا أكثر طبيعية ..

وفي مهارة ، ألصق (حسام) جهاز المراقبة الدقيق ، في جزء

خلفي من الحقيبة ، ثم اعتدل ، وواصل طريقه في هدوء .

وفي أعماقها ، اعترفت (مني) بمهارته ..

كان مخلصاً في عمله بالفعل ، وذكياً وجريئاً في أدائه ..

وهذا هو المطلوب ..

وعندما عاد إلى السيارة ، قالت في إخلاص :

أحسنت .

ابتسم قائلاً :

أشكرك .

وانتظر في صمت ، حتى ظهر (داني) ، وهو يحمل حقيبة

(كول) ، وأدوات (فوستر) ، واتجه إلى سيارته ، فالتقى الحقيبة

داخلها ، ثم جلس خلف عجلة السيارة ، وانطلق بها على الفور ..

وفي هدوء شديد ، أخرج (حسام) من حقيبته جهازاً صغيراً ،

ظهرت فوقه نقطة مضيئة حمراء ، وقال :

ها هو ذا صديقنا (داني) .. بهذا الجهاز الصغير يمكننا

تتبعه ، حتى نبغ موضع صديقنا (هارولد) .

وأدار محرك سيارته بدوره ، وانطلق بها في هدوء ، وهو

يتتبع مسار تلك النقطة الحمراء المضيئة ، على شاشة جهازه ،

والتي تحدد موقع ومسار سيارة (داني) ..

وانطلق (داني) خارج المدينة ..

خارج (نيويورك) كلها .

ثم انصرف عند منطقة ريفيه شاسعة ، على مشارف المدينة ،
وعبرها إلى دغل قريب ، حتى توقف داخل الدغل عند كوخ خشبي
صغير ، وغادر سيارته ، وضغط عليها ثلاث مرات متباعدة ،
فخرج من الكوخ رجل ضخم آخر ، يحمل مدفعاً آلياً ، لوح بكفه
لـ (داني) ، قائلاً :

- مرحباً يا صديقي .. هل من أوامر جديدة ؟

أجابته (داني) بصوت مرتفع :

- نعم .. سننقل الجاسوس إلى منزل آخر .

وعلى بعد عدة أمتار ، وسط الدغل الكثيف ، خفض (حسام)

منظاره المقرب عن عينيه ، وقال في ظفر :

- ها هوذا الهدف .

ولكن (مئي) لم تشاركه هذا الإحساس بالظفر ، بل كانت تشعر

بالقلق ..

القلق بلا حدود .



٥٠

٦- هارولد ..

اجتاز (فوستر) باب مكتبه في خطوات سريعة عنيفة كعادته ،
وسأل أحد رجاله في اهتمام بالغ ، وهو يجلس خلف المكتب :

- هل اتصل (داني) ؟

أجابته الرجل ، وهو يمسك سماعة الهاتف :

- إنه على الهاتف ، ويقول : إنه بلغ المنزل رقم (ثمانية) ،

وبسأل : هل بعض في الخطة حتى النهاية ؟

قال (فوستر) في اهتمام :

- سله : هل تتبعه أحد ؟

ألقي الرجل السؤال إلى (داني) ، عبر أسلاك الهاتف ،
واستمع إليه في اهتمام ، ثم قال لـ (فوستر) :

- يقول : إنه لم يلمح أحداً خلفه .

عقد (فوستر) حاجبيه ، وهو يفكر في عمق وصمت ، ثم قال
في حزم :

- قل له : أن يستمر في الخطة .

قال الرجل عبر الهاتف :

- استمر يا (داني) .

ثم أنهى المحادثة ، والتفت إلى (فوستر) ، بسأله :

- هل نتوقع شيئاً من هذا ياسيدى ؟

أجابته (فوستر) في القنطاب :

- الكثير .

كان من الممكن أن يكتفى بهذا الرد المقتضب كعادته ، إلا أنه وجد في نفسه الرغبة في الحديث ، فتابع بعد وهلة من الصمت :
- خصوصاً يتصورون أنهم الآن في هذه المرة ، ومن الضروري أن نلقتهم درساً قاسياً ، يعلمهم أن المخاطر المركزية الأمريكية هي الأقوى دائماً .

وترجع في مقعده في زهو واضح ، مستطرداً :

- ولا بأس من بعض المرح .

رئد رجله ، وهو يتطلع إليه في دهشة :

- المرح ؟!

برقت عيناً (فوستر) ، بهريق يناسب لقلبه كثيراً ، وهو يقول :
- نعم يا عزيزي .. المرح في عملنا أمر ضروري ، يجند نشاطنا ، ويمدحنا المزيد من الثقة والفخر .

ثم نهض من خلف مكتبه فجأة ، مستطرداً :

- ها يا رجل .. اطلب إعداد الهلوكوبتر المصفحة ، الخاصة

بـ

وعادت عيناه تتألقان في جذل عجيب ، وهو يستطرد :

- لا ينبغي أن يفوتنا الحفل .

وبعداً فعل شيئاً لم يفعل مثله منذ فترة طويلة :

لقد قهقه ضاحكاً ..

وبعنتهى المرح .

جنب (حسام) مشط مسنسه في حزم ، وهو يراقب الكوخ

الخشبي ، فسألته (منى) ، وهي تعذ مسنسها بدروها :

- هل تتوى مهاجمتهم مباشرة ؟

سألها في لهجة أقرب إلى المسخرية :

- أأنت أقتراح آخر ؟

مطت شفتيها ، قائلة :

- لا .. ليس لدى أية اقتراحات أخرى .

بدا أمامهما أربعة من المسلحين ، يغادرون الكوخ مع

(داني) ، وبينهم رجل مقيد ، يكتفى وجهه تحت لثام سميك ،

وهم يدفعونه أمامهم في غلظة ، نحو سيارة (داني) ، فصوت

(منى) مسنسها إليهم ، وهي تتمتع :

- ها هوذا (هارولد) .. يمكننا البدء ، على بركة الله (سبحانه

وتعالى) ، و...

قاطعها (حسام) بفتة :

- مهلاً .

التفتت إليه ، تسأله في دهشة :

- ألن تبدأ الهجوم ؟

هز رأسه نقياً ، وهو يعيد مسنسه إلى غمده ، قائلاً :

- لا .. ليس الآن .

هتلت في خفوت :

- أنتركهم يرحلون به ، أمام بصرنا وسمعنا ؟

ابتسم قائلاً :

- لن يذهبوا بعيداً .. إنهم سيستقلون سيارة (داني)

العزيب .. ألم تنتهي إلى هذا ؟ دعونا نسمح لهم بمغادرة المكان

يا عزيزتي ، فهم الآن في قمة تخلفهم وانتباههم ، وسنتبعهم

طرق سبائته وإبهامه ، معطياً المعنى المنشود ، وغمز بعينه
لـ (منى) ، قائلاً فى مرح :
- أيناسيك هذا ؟
ابتسمت مغمفة :
- بالتأكيد .

ران عليهما الصمت لحظات ، وسط أعشاب عالية ، وأشجار
ضخمة ، ولم يعد كلاهما يسمع سوى حفيف الأوراق ، وزقزقة
العصافير ، و (حسام) يواصل مراقبته للكوخ فى اهتمام بالغ ،
ودون أن يتبادل مع (منى) كلمة واحدة ، لنصف ساعة كاملة ،
قبل أن يرفع منظره عن عينيه ويسألها بابتسامة كبيرة :

- أنتشعرين بالجوع ؟

هزت رأسها ، قائلة فى خفوت :

- ليس كثيراً .

قال فى لهجة تحمل شيئاً من الحنان :

- إنك لم تتناولى شيئاً منذ الصباح .

ثم اعتدل قائلاً فى مرح :

- حسناً .. سنتبادل الأدوار .. أنت تقومين بالمراقبة ، وأنا

أحضر الطعام من السيارة .. مارأيك ؟

التقطت المنظر المقرب ، وهى تقول مبتسمة :

- لا بأس .

نهض فى نشاط ، ليحضر الطعام من السيارة ، ولكنها

استوقفتها قائلة فى تردد :

- (حسام) .. إتنى ..

التفت يسألها مبتسماً :

حتى يصلوا إلى المنزل الجديد ، وبعد أن يستقر بهم الحال هناك ،
وتهدأ نفوسهم ، منضرب ضربتنا ، ونستغل عامل المفاجأة ،
الذى لن يمكننا استغلاله أبداً ، وهم يتحفظون هكذا .
بدت لها فكرته ذكية بالفعل ، واعترفت فى أعماقها أنه ذكى
وبارع ، فأعادت مسسمها إلى غمده ، وقالت :

- أنت على حق .

رمقها بنظرة جانبية صامتة ، وانتظر حتى انطلق الرجال مع
أسيرهم بالسيارة ، ثم قال فى حزم :

- هيا بنا .

انطلقا إلى سيارتهما ، واستقلّهما ، وراحا يتابعان تلك النقطة
المضيئة مرة أخرى ، عبر طرق جانبية وعرة ، حتى بلغا كوخاً
خشبياً آخر ، فتوقفا برأبائيه فى اهتمام ، من خلف شجرة
ضخمة ، وقالت (منى) :

- ها هى ذى سيارة (داتى) أمام الكوخ .

نزل (حسام) لحظات برأب الكوخ بمنظره ، قبل أن يقول :

- وها هوذا (هارولد) فى الداخل .

سألته :

- هل نهاجم الآن ؟

هز رأسه نفياً ، وأجاب :

- امنحهم بعض الوقت يا عزيزتى .

ثم تطلع إلى ساعته ، مستطرداً :

- ستغرب الشمس بعد ثلاث ساعات .. سنمنعهم كل هذا
الوقت ، ومع اختفاء قرص الشمس فى الأفق ..

.. إنك ماذا ؟

تطلعت إليه لحظة ، ثم خفضت عينها ، قائلة :

.. إننى أدب لك بالاعتذار .

لم ينس ببنت شفة ، وإن ظهرت على وجهه ملامح الدهشة لحظة ، قبل أن تتابع هى فى ندم وأسف واضحين :

.. لقد أسأت معاملتك فى البداية ، دون قصد منى ، ولكننى لم أكن أحتمل ..

قاطعها فى حنان :

.. فيما بعد .

رفعت عينها إليه ، فاستقبلتها ابتسامته الهادئة ، وهو يتابع :

.. سنوّل الحديث حول هذا لما بعد .

ولوح بكفه ، مستطرداً :

.. سأحضر الطعام .

راقبته وهو يعتمد فى خفة ونشاط ، وغفمت لنفسها :

.. لقد أخطأت فى حقك بالفعل .

ثم أمسكت المنظار ، واستدارت إلى الكوخ ، وإنهمكت فى مراقبته ..

أما (حسام) فقد تابع سيره إلى حيث ترك السيارة ، وقال لنفسه فى ارتياح ، وهو يفتح حقيبةها :

.. يبدو أن الأمور مستصلحة كثيراً مع عزيزتنا (منى) .

انحنى ليلقط حقيبة الطعام ، و..

وفجأة أصابته ضربة قوية فى ظهره ، كانت تسقطه داخل

حقيبة السيارة ، لولا أن تشبّت بحافتها فى قوة ، ثم دفع قدمه إلى الخلف فى عنف ..

كان رد فعله مناسباً وسريفاً ، فقد أصابت قدمه معدة خصمه من الخلف ، وتناهى إلى مسامحه صوت آهة ألم مكتومة ، فثنى جسده فى مرونة ، وقلّز جانباً ، ودار حول نفسه فى سرعة ، وواجه خصمه وجهاً لوجه .

كان خصمه يلوّقه حجماً بمرّة ونصف المرّة على الأقل ، ويحمل مدفعاً آلياً ضخماً ، وكلّ خلية من خلاجه تحمل الصرامة والحزم والقوة .

ولكن (حسام) لم ينتظر لحظة واحدة ..

ولا حتى جزءاً من الثانية ..

لقد انقضّ على خصمه على الفور ، وقلّز يركل معدته ركلة أخرى ، أعنف من سابقتها ، ثم يركل المدفع الآلى من يده فى قوة ..

وطار المدفع من يد الرجل ، واستقر وسط الأعشاب الكثيفة ، فهتف الرجل فى غضب :

.. أيها الحقير .

لم يعترض (حسام) على العبارة بلفظ واحد ، وإنما جاء اعتراضه على هيئة لكمة عنيفة وجهها إلى أنف الرجل ، الذى تراجع خطوة إلى الوراء ، ثم انقضّ على (حسام) ، وأمسك وسطه بكفيه ، ورفع إلى أعلى ، كما لو كان طفلاً صغيراً ، وهو بهتف :

.. سأحطّمك أيها الرجل الصغير .

وبكل قواه ، هوى (حسام) على جانبيه عنق الرجل بحافته يديه ، ثم رفع ركبته في نفس اللحظة ، ليضرب بها فكه ..
 وصرخ الرجل في ألم ، ولكنه لم يفلت (حسام) ، وإنما دفعه أمامه ، وهو يندفع إلى حيث جذع شجرة ضخمة ، وضرب ظهر (حسام) بها في عنف ، صارخاً :
 - سأحطمك .. سأحطمك ..

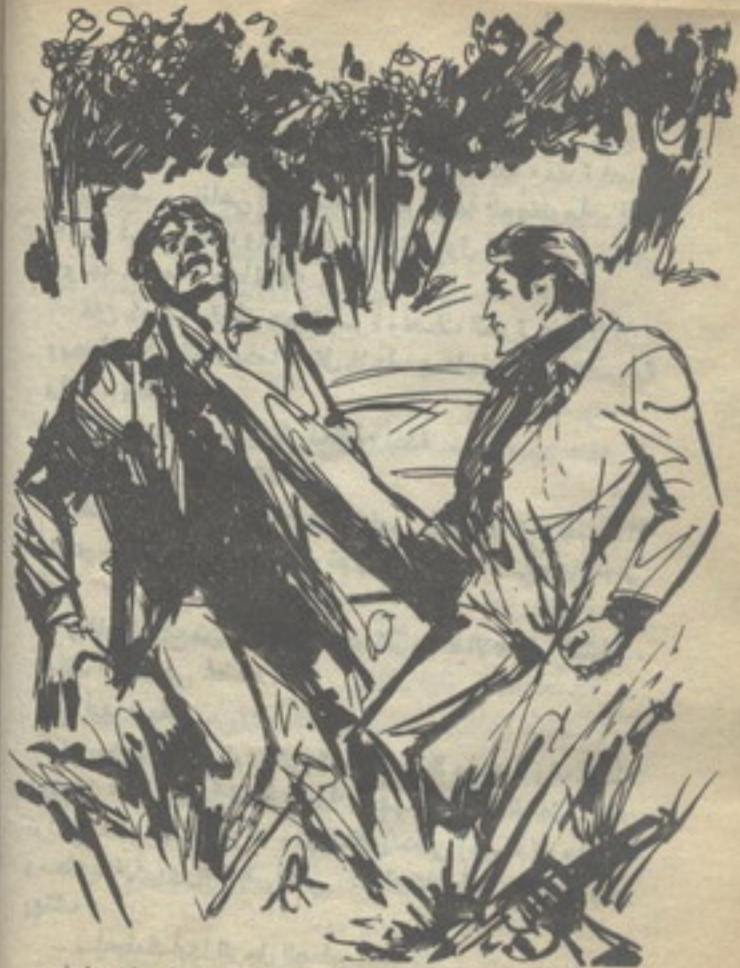
شعر (حسام) بآلام رهيبة في عاموده الفقري ، والرجل يضربه بالجذع الضخم مرة .. ومرة .. ومرة .. وأدرك أن جسده لن يحتمل هذه الضربات لفترة طويلة ، فانتزع مسدسه من غمده ، وقال في ألم :
 - أنت أردت هذا أيها الوغد .

شعر الرجل بلهفة المسدس تلتصق بصدغه ، فأبعد رأسه في سرعة ، وألقى (حسام) أرضاً ، ثم انتزع مسدسه بدوره هاتفاً :

- نعم .. أنا أردت هذا .

رفع فوهة مسدسه نحو (حسام) بسرعة مذهشة ، ولكن (حسام) كان الأسبق في ضغط زناد مسدسه ، المزود بكاتم للصوت ..

وجحظت عينا الضخم لحظة ، وبدا كأنما أضيفت إليه عين ثالثة ، في منتصف جبهته تماماً ، ثم لم تلبث تلك العين الثالثة أن تفجرت بالدماء ، وسقط الضخم جثة هامدة ، عند قدمي (حسام) ، الذي قلز واقفاً ، وقال في توتر :
 - إنني فقد كشفتم أمرنا .



وقفز يركل معدته وكلة أخرى ، أعنف من سابقتها ، ثم يركل المدفع الأمامي .. رده في قمة ..

وانطلق بكل سرعته نحو المخبأ ، الذى تختفى فيه (منى) ،
ولم يكد يبلغه حتى هتف بها :
- هيا .. سنهاجم الآن .
سأنته فى دهشة قلقة :
- لماذا ؟ .. ماذا حدث ؟
أجاب فى حزم :
- لقد كشفوا وجودنا .. أحدهم هاجمنى عند السيارة ، ولولم
لهاجم الآن ، لقد نخسر كل شيء .. إننا نعرف موضع (هارولد)
الآن ، ولن نضيع هذه الفرصة أبداً .
سأنته فى جزع :
- ألن نضع خطة للهجوم ؟
قال فى صرامة :
- إنهم يعلمون بوجودنا ، وينتظروننا ، ولم تعد هناك فائدة
من الاختباء والمراوغة .. سأحضر كل الأسلحة من السيارة ،
ولهاجمهم على الفور .
قالت فى حسم :
- سنحضرها معاً .
عادا إلى السيارة ، وأحضر كل منهما مدققاً آلياً ، وقنبلتى
دخان ، ومسدساً ، وكمية لا بأس بها من الذخيرة ، ثم قال
(حسام) فى حزم :
- سنهاجم من محورين .. قنابل الدخان أولاً ، ثم هجوم
بالمدافع الآلية .
سأنته فى قلق :

- وماذا عن (هارولد) ؟ .. ألا يحتفل أن يقتلوه ، إذا
مابادرتاهم بالهجوم ؟
هتف :

- مطلقاً .. إنهم سيتصورون أننا نحن نسعى إلى قتله ،
والتخلص منه ، ومن كل ما يحمله من أسرار ، وسيدافعون عنه
بأقصى ما يمكنهم .. اطمئنى .
راقب الكوخ لحظة ، ثم قال :
- الآن .

افتراقاً فى الجانبين ، واتجه هو إلى يمار الكوخ ، فى حين
اتجهت هى إلى يمينه ، ومن بعيد أشار إليها إشارة خاصة ..
وبدأ الهجوم ..

بدأ بقنبلة دخان ، ألقتها (حسام) نحو نافذة الكوخ اليسرى ،
هاتفاً :
- الآن .

ألقت (منى) قنبلتها بدورها ، نحو النافذة اليمنى ، ثم ضغطت
زناد مدفعها الرشاش ، وغمرت الجانب الأيمن للكوخ
برصاصاتها ، فى سماء منقطع النظير ..

وفى أول مواجهة حية ، بعد عمله بالمخابرات العامة ، أثبت
(حسام) جرأة حقيقية ، منقطعة النظير ..

لقد أطلق رصاصاته على الجانب الأيسر للكوخ بدوره ، ثم
اندفع نحوه فى جسارة ، مستغلاً عامل المفاجأة ، وأطلق النار
على رتاجه ، ثم دفع بابه بكتفه ، وقلز داخله ، وتخرج على
أرضه فى مرونة ، ثم اعتكل مصوباً مدفعه إلى من داخله ..

وهنا كانت المفاجأة .

لم يكن هناك مخلوق واحد داخل الكوخ ..
فقط عدة نمل ، فى حجم البشر ، تشبه إحداها (هارولد) ،
وتشبه الأخرى (داني) ، ثم بعض الدمى الأخرى ..
وهتف (حسام) فى غضب :
- اللعنة ..

كانت سحب الدخان تملأ الكوخ ، فاندفع مرة أخرى خارجه ،
وهتف :

- كفى يا (منى) .. كفى ..
نطقها بالإنجليزية ، فأوقفت (منى) سيل رصاصاتها ، وهى
تسأله بالإنجليزية مماثلة :
- ماذا حدث ؟
هتف :

- إنه فخ .
وهنا انبعث صوت (فوستر) عالياً ، من عدة مكبرات صوتية
تحيط بالمكان ، وهو يقول فى سخرية :
- صدقت أيها الانتحارى .. إنه فخ .
شعرت (منى) بتوتر بالغ ، وتلفتت حولها فى اضطراب ، فى
حين هتف (حسام) بالإنجليزية :
- اذهب إلى الجحيم .

أتاه صوت (فوستر) ، يقول :
- لست أدرى من منا سيذهب إلى الجحيم أيها الانتحارى .
ثم ارتفع صوته ، وهو يقول فى صرامة :

- امنحوه عينة مما نملك يا رجال .

وهنا اتهم سيل الرصاصات الحقيقى ..
بل شلال منها ..

شلال من رصاصات قاتلة ، اتهم على رأسى بطلينا ..
.. (حسام) و (منى) .



٧- من أنت؟ ..

على الرغم من شلال الرصاصات الذي انههر على (حسام) و (منى) إلا أن رصاصة واحدة منه لم تصب أحدهما ، وإنما أحاطت الرصاصات بهما إحاطة السوار بالمعصم ، قبل أن يرتفع صوت (فوستر) ، قللاً :

- إنها مجرد عينة ، كما أخبرتكما .

شعرت (منى) بخوف شديد ، وهي تقول لـ (حسام) في خلوت :

- إنهم يحيطون بنا تماماً .

تمتم (حسام) في سخط :

- ياللاؤغاد !

ثم قال لـ (منى) في حزم :

- تنذري أنه ، منذ هذه اللحظة ، لم نتحدث أو نتطرق حرفاً واحداً ، إلا بالإنجليزية أو العبرية .. هل تفهمين ؟

- أجاوبه بالإنجليزية :

- نعم .

ارتفع صوت (فوستر) مرة أخرى ، يقول في صرامة :

- هيا .. إننى انتظر استسلاماً غير مشروط .

سألت (منى) (حسام) :

- هل نستسلم ؟

قال فى حلق :

- ليس أمامنا سوى هذا .

ثم أضاف غاضباً :

- فى الوقت الحالى .

وألقى مدفعه ، قائلاً فى حدة :

- إننا نستسلم أيها الوغد .

شعرت بضيق شديد ، وهى تتلقى مدفعها ، وترفع يديها مستسلمة ، ثم لم يلبث هذا الضيق أن تحول إلى مزيج من الدهشة والخوف ، عندما برز من بين الأشجار ، عشرات من رجال المخابرات الأمريكية ، يحملون مدافعهم الآلية ، ووسطهم (دائى) ، الذى يبتسم ظافراً ، ويتجه إليهما ، قائلاً :

- لقد وقعتما .

أجابته (حسام) بالإنجليزية فى سخرية :

- من نواعى فخركنا (على الأقل) أن تجندوا كل هذا الجيش للإيقاع بنا .

قال (دائى) فى غلظة :

- لم تكن تعرف عددكم .

قال (حسام) فى سخرية :

- حقاً ؟

أمسكه (دائى) من يافته فجأة فى غلظة ، وهو يقول فى حدة :

- اسمع أيها الرجل .. أنت تواجه أقوى جهاز مخابرات فى

العالم أجمع ، ونحن نستطيع سماع دبيب النملة ، ورصد أصغر

حشرة تحاول الاقترب منا .

قال (حسام) بنفس السخرية :
- ربما يعاونكم على هذا شعورك بالانتماء إلى عالم
الحشرات .

بدا لـ (منى) شديد التشبه بـ (أدهم صبرى) ، وهو يتعامل مع
خصومه بكل السخرية والاستهتار ، وبدا لها (داني) أشبه بكتلة
ملتببة من الغضب ، وهو يصرخ به :

- سأعلمك من منا ينتمى إلى عالم الحشرات أيها الحقير .

وهنا ظهر (فوستر) نفسه ، وهو يقول :

- ليس الآن يا (داني) .. لا تجعل ضيفينا يظنان أننا نفكر إلى
الكرم .

واتجه إلى حيث (منى) و (حسام) فى بظء وهدوء ، ثم رمق
كلًا منهما بنظراته الحادة المتفحصة ، قبل أن يقول :

- أعترف أنكما لعبتما اللعبة فى إتقان شديد ، وبمهارة
تستحق الإعجاب ، وكان يمكنكما الانتصار ، لولا أنكما تواجهان
(جيمس فوستر) نفسه .

بدا لهما شديد الغرور ، وهو يتابع :

- لقد كانت لعبة زرع أجهزة التصنت فى مكتبتي رائعة ،
ولكننى أدركت أن زيارتك يا فتاتى ليست طبيعية ، لذا فقد أمرت
رجالى كتابة ، بفحص كل شبر بالحجرة ، حتى كشفنا وجود
جهازى التصنت ، وبعدها أدركت أن تلك المراقبة المزعومة ،
لخزانة نادى (الجولف) ، كانت مجرد وسيلة لتغطية محاولة زرع
جهاز تصنت آخر ، فى حقيبة أدوات (الجولف) الخاصة بى .
وارتسمت على شفثيه ابتسامة زهو واضحة ، وهو يضيف :

- ولكننى تظاهرت بالفهاء ، وبأننى أظن أن جهاز التصنت
مزروع فى إحدى أدواتى ، وليس فى الحقيبة نفسها ، وتظاهرت
بأننى أطلب من (داني) فحص الأدوات ، فى نفس الوقت الذى
تركت له فيه ورقة ، أشرح فيها الأمر كله ، وأطلب منه التظاهر
بالفهاء ، والذهاب إلى منزل خداعى ، أعدناه كفض لمن يحاول
تعقبنا مثلكما ..

واتسمت ابتسامته ، وهو يستطرد :

- ولقد نجحنا فى خداعكما .

قال (حسام) ساخرًا :

- هل أصطفى ؟

رمقه (فوستر) بنظرة حادة ، وقال :

- ما جنسيتك يا فتى ؟

هز (حسام) كتفيه ، قائلاً :

- سأمنحك فرصة التخمين .

ضالت حدقتا (فوستر) ، وهو يتفرس فى ملامحه لحظة ،
قبل أن يقول :

- أنت عربى ؟

أجاب (حسام) فى برود :

- ربما .

ترجع (فوستر) خطوة ، وأشار إلى أحد رجاله ، قائلاً فى
صرامة :

- فنتشهما .

انعقد حاجبا (حسام) ، وهو يقول :

- لو حاول أحدكم لمس زميلتى ، فسيكون هذا آخر ما يفعله فى حياته كلها .

ابتمم (فوستر) ، قائلاً :

- هذا يرجح كونك عربياً .

خشيت (منى) أن يكشف أمرهما ، فقالت :

- لا بأس يا (دافيد) .. يمكنهم تفتيشى .

صاح بها (حسام) فى غلظة متعمدة :

- لا تتطلى أية أسماء .

التقى حاجبا (فوستر) فى شدة ، وهو يردد :

- (دافيد) ؟! .. أنتما ...

بتر عبارته مرة واحدة ، والتقت نظراته بنظرات (داتى) فى

قلقى ، قبل أن يقول :

- لا بأس .. لن نهتم بتفتيشكما هذه المرة ، ولكننى أطلبكما

بإفراغ محتويات جيوبكما كلها أمامنا .

أطاعاه هذه المرة ، وأفرغاً محتويات جيوبهما عن آخرها ،

وراح (داتى) يفحص المحتويات فى اهتمام بالغ ، ثم قال :

- لا يوجد أى شئ يشير إلى شخصيتهما يا سيدى ..

لا أوراق ، أو جوازات سفر ، أو رخص قيادة .. لاشئ قط ..

ألقى (فوستر) نظرة سريعة على كل الأشياء ، ثم قال :

- وماذا عن هذا ؟

والتقط من بين الأشياء ورقة نقدية ، رفعها أمام وجه

(حسام) ، قائلاً :

- لقد نسيتما هذه يا عزيزى (دافيد) .

كانت ورقة من فئة العشرة ليرات الإسرائيلية ، تطلع إليها (حسام) فى دهشة مصطنعة ، قبل أن يلتفت إلى (منى) ، هاتكاً فى غضب مكتعل :

- أيتها اللعينة !.. ألم أطلب منك التخلص من كل ما يمكن أن يشير إلينا ؟

تظاهرت (منى) بالارتباك ، وهى تقول :

- لم أنتبه إلى هذه الورقة يا (دافيد) .. صدقنى ..

صاح :

- سأقتلك يا (هانا) .. سأقتلك من أجل هذا .

تبادل (داتى) نظرة أكثر قلقاً مع رئيسه ، الذى غمغم فى خفوت :

- يا للشيطان !.. إنهما اسرائيليان !

قال (داتى) فى قلق :

- سيدى .. هذا سيثير أزمة فى الـ ...

قاطعه (فوستر) مشيراً بيده :

- اصمت .

ثم التفت إلى (حسام) و (منى) ، وقال :

- سنؤجل أمر جنسيتكما هذا إلى ما بعد ، أما الآن فسيؤدكما

بعض رجالى إلى سيارتكما ، ومنقوم بتفتيشها جيداً ، ثم

سيصحبكما رجالنا بها إلى إدارتنا ، حيث يتم استجوابكما جيداً .

وأشار إلى أحد رجاله ، قائلاً :

- خذهما إلى هناك .

اصطحب الرجل ، مع ثلاثة آخرين ، (حسام) و (منى) إلى

حيث تقف سيارتهما ، فى حين قال (داتى) فى توتر :

- أتصدق أنهما إسرائيليان حقاً يا سيدي؟

أجابته (فوستر) في توتر :

- لا يمكنني استبعاد هذا ، فعلى الرغم من التعاون القاتم ، بيننا وبين (المسوساد) ، منذ زمن طويل ، إلا أن هؤلاء الإسرائيليين لا يتورعون عن القيام بأية أعمال تحايلية ، مادام هذا في صالحهم ، بغض النظر عن الأخلاقيات والقواعد والمثل .

قال (داني) في ارتياح :

- إلى حد زرع جاسوس بين صفوفنا ؟!

لوح (فوستر) بكفه ، قائلاً :

- إلى أي حد يا (داني) .. إلى أي حد .

ثم زوى ما بين حاجبيه ، مستطرداً في توتر :

- ولكن من المؤكد أن هذا سيزيد الأمر تعقيداً يا (داني) ..

سيزيده تعقيداً إلى درجة رهيبة بحق ..

في نفس الوقت ، الذي دارت فيه هذه المحادثة ، بين

(فوستر) و (داني) ، كان الرجال الأربعة يقودون (حسام)

و (منى) إلى سيارتهما ، وغفمت (منى) بالإنجليزية :

- لقد فشلت المهمة .

أجابها (حسام) في حزم :

- ليس بعد .

لم تناقشه في هذا ، ولكنها شعرت في أعماقها أنه متفائل أكثر

مما ينبغي ، فلأنت بالصمت ، وحاولت أن تتخيل ما سيفعله

(أدهم) ، لو أنه في نفس الموضع ، ثم لم تلبث أن نفضت الصورة

من عقلها ، وهتفت في داخلها :

- استيقظي يا (منى) .. لا داعي للعيش في عالم الخيال إلى

الأبد .. لقد اعتزل (أدهم) العمل ، و (حسام) هو رفيقك الآن ..

هيا .. تقبلي الأمر في شجاعة وواقعية .

كانا قد بلغا السيارة ، في حراسة الرجال الأربعة ، فتوقف

(حسام) عن السير ، وقال في صرامة :

- لن أخطو خطوة واحدة زائدة .

دفعه أحد الرجال في غلظة ، قائلاً :

- تقدم يا رجل ، وإلا حطمت رأسك .

شعرت (منى) بالدهشة لموقف (حسام) ، وهو يقول في

عناد :

- الفعل ما يحلو لك ، ولكنني لن أتحرك من موقعي هذا .

لكزه الرجل بكعب مدفعه في عنف ، هاتفاً

- قلت تقدم ..

لم تكن الضربة قوية إلى حد كبير ، ولكن رد فعل (حسام)

جعلها تبدو أشبه بقنبلة مدفع ، إذ سقط أرضاً ، وتدحرج لمتريين

كاملين ، وأحد الرجال الأربعة يقول في سخرية :

- هيا يا رجل .. لا أعى لكل هذه التمثيلية السخيفة .. إننا نعلم

أنك أقوى من أن تجندك ضربة كهذه .

ولكن فجأة اعتدل (حسام) ، وهو يحمل بين يديه مدفعاً آلياً ،

جعل الرجال الأربعة و (منى) يحدقون فيه بدهشة ، وهو يهتف

في سخرية :

- يا للذكاء !

قبل أن يفيق الرجال من دهشتهم ، كانت سبابته تضغط



قبل أن يفيق الرجال من دهشتهم ، كانت سباته تضغط الزناد ،
ورصاصات المدفع الآلى تحصد الرجال الأربعة حصداً ..

الزناد ، ورصاصات المدفع الآلى تحصد الرجال الأربعة حصداً ..

وهتفت (منى) ، وهى تندفع إليه :

- من أين حصلت عليه ؟

أجابها وهو يدعو إلى جانبها ، نحو السيارة :

- لقد اطحت به ، من يد الرجل ، الذى هاجمنى عند السيارة ،
وتذكرت مكانه جيذاً ، حتى أعود إليه عند الحاجة .

هتفت فى إعجاب حقيقى :

- أنت رائع يا (حسام) .

قفز داخل السيارة ، وأدار محركها ، هاتفاً :

- سيسعدنى سماع هذا الاطراء فيما بعد أيتها الرائد .. أما الآن

فاتخذنى مقعدك فى سرعة ، واربطى حزام الأمان جيذاً ، فستبدأ

المطاردة على الفور ، ولابد لنا من بدء الفرار الآن ، وإلا فلن

نعرف الرحمة طريقها إلى ماسيحدث بعد لحظات .

قالها وانطلق بالسيارة كالصاروخ ..

وبدأت المطاردة ..

لم يكد صوت رصاصات المدفع الآلى ، ببلغ مسامع (فوستر)

ورجاله ، حتى تفجر القلق والدهشة فى قلوب الجميع ، وهتف

(فوستر) :

- أسرعوا يا رجال .. أسرعوا لتغطية زملائكم .

اندفع عشرات الرجال لتجدة زملائهم ، فى حين أضاف

(فوستر) :

- وأنت يا (دانى) .. خذ معك ثلاثة رجال ، واستقل سيارتك

لمطاردة (دافيد) وزميلته ، لو أن هذه الرصاصات تعنى نجاحهما
فى الفرار .

هتف به (داني) ، وهو يسرع نحو سيارته :

- وماذا عنك ياسيدى ؟

أجابه (فوستر) :

- سأكون الغطاء الجوى لكم يارجل .

انطلق (داني) بسيارته ، بصحبة الرجال الثلاثة ، وعبر
طريقاً مختصراً قصيراً ، قاده مباشرة إلى الطريق الأسفلتى ،
حيث بدت سيارة (حسام) و (منى) ، وهى تنطلق مبتعدة ، فصاح
(داني) برجاله :

- استعدوا يارجال .. سننسف هذه السيارة نفساً .

ضغط دؤاسة الوقود حتى نهاية مداها ، وانطلق بسيارته
المزودة بدائرة سرعة إضافية ، للحاق بسيارة (حسام) ، الذى
زاد من سرعته بدوره ، عندما لمح سيارة (داني) ، وقال
(منى) :

- بدأت المطاردة الفعلية أيتها الرائد .. أخبرينى .. هل يمكنك

إطلاق النار ، من الزجاج الخلفى .

التقطت المدفع الآلى ، وعبرت من فوق مقعدها إلى الأريكة
الخلفية ، قائلة فى حزم :

- بالتأكيد .

حطمت الزجاج الخلفى بعدة ضربات من كعب مدفعها وصوبت
قوة المدفع إلى سيارة (داني) ، وأطلقت النار ..

رأت الرصاصات تنظم .. بزجاج السيارة وجسمها ، ثم تردت

عنهما فى عنف ، دون أن تترك فيهما إلا عدة خدوش بسيطة ،
فهتفت بـ (حسام) :

- إنها سيارة مصفحة .

عقد حاجبيه فى توتر ، وهو يقول :

- وسرعته تفوق سرعتنا .

كان ينطلق بأقصى سرعة تسمح بها سيارته ، ولكن سيارة
(داني) كانت تقترب بسرعة ، مما جعل (حسام) يقول :

- لابد من مناورة مباغتة .

ثم هتف فجأة :

- تشبثى أيتها الرائد .

وجذب ذراع فرامل اليد الإضافية فى قوة ، مما كبح جماع
سيارته على نحو مباغت ، ثم أدار عجلة القيادة فى سرعة ، وترك
السيارة تدور حول نفسها نصف دورة ، لتواجه سيارة (داني) ،
الذى هتف :

- ما الذى يلعله هذا المجنون ؟

وبمبادرة مذهشة ، انطلق (حسام) بسيارته نحو سيارة
(داني) صاخاً :

- الإطارات أيتها الرائد .. صوبى إلى الإطارات .

أطاعته (منى) دون تفكير ، وانتظرت حتى بدت إطارات
سيارة (داني) ، فأطلقت رصاصاتها نحوها بلا تردد ..

وانفجر الإطاران الأماميان لسيارة (داني) ، الذي فقد سيطرته عليها ، وحاول منعها من الخروج عن الطريق في استماته ، وهو يصرخ :

- أيها الأوغاد ! أيها الأوغاد !

ومرة أخرى جنب (حسام) نراع فرامل اليد الإضافية ، ودار بالسيارة نصف دورة ، وانطلق في مساره الأول ، هاتفا في ظفر :

- لقد هز منا هم أيتها الرائد .. انتصرنا على عمالقة المخابرات الأمريكية .

فوجيء بها تقول في صوت مرتجف :

- ليس بعد .

لم تكذب تنطقها ، حتى النقطت أذناه طنين مروحة الهليكوبتر ، التي تقترب منه في مرة ، فالتقى حاجباه ، وهو يقول في توتر :

- يبدو أنهم يستخدمون سلاحهم الجوي أيضا .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى انهالت رصاصات مدفع الهليكوبتر على السيارة ، واخترق بعضها سقفها ، والمقعد الذي كانت تحتله (منى) ، وهشم زجاجها الأمامي ، فهتفت (منى) في ذعر :

- إنهم يجيدون التصويب .

أدار (حسام) عجلة القيادة ، قائلا في حزم :

- فلنجعل مهمتهم عسيرة على الأقل .

اتخذ في انطلاقته مسارا متعرجا ، وراحت الرصاصات تنهمر عن يمينه ويساره ، وبعضها ينجح في إصابة جسم السيارة ، وقالت (منى) :

- إنك بهذا تمنعني من التصويب .

سألها في دهشة :

- أنتاولين إطلاق النار على الهليكوبتر ؟

هتفت في حزم :

- ولم لا ؟

أطلق ضحكة جذلة ، وقال :

- نعم .. ولم لا ؟ .

ثم أضاف في حزم :

- هيا .. استعدى .. سأخذ فجأة مسارا مستقيما ، وعندئذ أطلق النار عليها .

واعتل في مساره فجأة ، هاتفا :

- الآن .

وهنا رفعت (منى) مدفعها ، وأطلقت سيلًا من الرصاصات على الهليكوبتر ..

ولكن الرصاصات ارتدت عن جسم الهليكوبتر وزجاجها ، كما فعلت مع سيارة (داني) ، فتهالكت (منى) ، قائلة في إحباط :

- إنها أيضا مصفحة .

سرى التوتر في جسد (حسام) ، وعاد للانطلاق في مسار متعرج ، مغفغا :

- رباه ! .. إننا نواجه تكنولوجيا جيتهم كلها .

ثم لمح لافتة على جانب الطريق ، فهتف :

- ولكن هناك أملاً .

مسألته في لهفة :

- ما هو ؟

أجاب في حزم :

- لقد اقتربنا من (نيويورك) ، ولو نجحنا في دخولها ، فلن
نتمكن الهليكوبتر من الظفر بنا .

قالت متوترة :

- لو لم تظفر بنا قبلها .

لَوْح بكفه ، هاتفاً :

- إنه كيلو متر واحد ، منقطعه في أقل من نصف الدقيقة ،
وبعدها يتلاشى الخطر .

ولكن في نفس اللحظة ، داخل الهليكوبتر ، كأن الطيَّار يقول
لـ (فوستر) :

- إنه مراوغ بارع ياسيدى .. لابد أن نعرف بهذا ، وسبيل
(نيويورك) بعد لحظات ، وعندئذ لن يمكننا مواصلة إطلاق النار
عليه .

هتف (فوستر) في غضب :

- لماذا ؟

أجابه الطيَّار في دهشة :

- لأنه سيدخل المدينة ياسيدى ، ولو أطلقنا رصاصة واحدة
داخلها ، فلن يفكر لنا مخلوق واحد هذا .

قال (فوستر) في سخط :

- اللعنة على تلك الديموقراطية .

ثم هتف بالطيَّار :

- فلنمنعه إذن من بلوغ (نيويورك) ، وبأى ثمن .

أجابه الطيَّار في حماس :

- سمعا وطاعة ياسيدى .

كان (حسام) لحظتها يقول لـ (منى) في حماس :

- ها هي ذى (نيويورك) أيتها الرائد .. سنبلغها بعد لحظات ،
ونتجاوز دائرة الخطر ، و....

وفجأة تجاوزته الهليكوبتر ، إلى نهاية الطريق ، الذى يقود
إلى (نيويورك) ، واستدارت تواجهه ، مما جعله يبتتر عبارته ،
مغمغماً في توتر :

- ماذا يفعلون ؟

وهنا انطلقت الهليكوبتر في مواجهته ...

وأطلق مدفعها النيران نحوه ..

وكانت المواجهة ..

أخطر مواجهة .



٨ - المدينة ..

ماذا تفعل ، عندما تواجهك هليوكوبتر مسلحة مصلحة ،
تعطرك بالنيران ؟ ..
من المؤكد أن الجواب - المنطقي - لمثل هذا السؤال ، هو
الاستسلام دون قيد أو شرط ..
لو أن الاستسلام ممكن ..
وفي ذلك الموقف ، الذي يواجهه (حسام) و (منى) ، فكرت
(منى) نفسها في الاستسلام دون قيد أو شرط ، بل وتمنت لحظة
لو أن هذا ممكن ..
ولكن (حسام) كان يرفض الفكرة تمامًا ..
لم يكن من السهل عليه أن يتقبل فكرة الاستسلام ، وهو على
بعد نصف الكيلومتر ، من أول طريق النجاة ..
لذا فلم يتوقف (حسام) ..
صحيح أن الهليوكوبتر كانت تنقض عليه ، وتمطره
برصاصاتها ، وأن بعض هذه الرصاصات اخترق جسم السيارة ،
وكاد يبلغ قدميه ، وأن زجاج السيارة تهشم تمامًا ، وعبرته بعض
رصاصات ، مرقت فوق رأس (منى) ، قبل أن تعبر من النافذة
الخلفية المحطمة ، ولكن (حسام) لم يتوقف ..
وعلى العكس تمامًا ، ضغط دواسرة الوقود بقوة أكبر ، وكأنما
يحاول إجبار السيارة على الانطلاق بسرعة تفوق سرعتها
القصى ..

وفوجئ (فوستر) وطيار الهليوكوبتر ، بهذه المبادرة
المدهشة ، فهتف الأول في دهشة عارمة :

- ما الذى يفعله هذا المجنون ؟

أجابه الطيار في توتر :

- من الواضح أنه شديد العناد .. إنه يُفضل الموت على
الاستسلام .

صاح (فوستر) :

- اتسبه إذن .. أطلق عليه أحد صواريخنا .

هتف الطيار ، وهو يجذب عصا القيادة إليه في قوة :

- لم تعد المسافة تسمح بهذا .

- رأى (حسام) الهليوكوبتر ترتفع ، فعاد إليه الأمل ، وأخذ
يقول :

- سننجح أيتها الملازم .. سننجح بإذن الله .

ولكن (فوستر) صاح بالطيار في غضب :

- أطلق نيرانك على خزان الوقود .. هيا .. بسرعة .

استدار الطيار بالهليوكوبتر مرة أخرى ، وراح يمتد خزان

الوقود برصاصاته ، في اللحظة التي هتف فيها (حسام) :

- لقد وصلنا .

وهنا اشتعل خزان الوقود ، وارتفعت منه ألسنة اللهب ،

فصاحت (منى) :

- السيارة ستفجر .

ضغط (حسام) فرامل السيارة في عنف ، فأتلق صرير

الإطارات في قوة ، ودارت السيارة حول نفسها أكثر من مرة ،

قبل أن تتوقف على جانب الطريق ، بالقرب من مدخل المدينة ،
وهنف (حسام) :

- بسرعة أيتها الرائد .. بسرعة .
قفز مع (منى) خارج السيارة ، ورأهما (فوستر) يعدوان
نحو المدينة ، فصرخ بالطيار :

- اقتلها .. اقتلها قبل أن تغد أثرهما .
ولكن الطيار صاح :

- لم يعد بإمكاننا هذا .. لقد دخلنا المدينة .
ومع آخر حروف كلماته ، انفجرت السيارة بدوى هائل ،
لتضع نهاية لهذه المرحلة من الصراع ، وبداية لمرحلة أخرى ..
مرحلة المطاردة ..

تطلع قائد بوليس (نيويورك) لحظات ، إلى ذلك الخطاب
الرسمي ، الذي يمسكه بين يديه ، ثم رفع عينيه إلى الرجل الممتن
البنيان ، الذي يقف أمامه صامتاً ، مرتدياً منظاراً شمسياً داكناً ،
على الرغم من وجوده داخل الحجرة ، وسأله :

- أنت واثق من أن هذا يخص الـ (سى . آى . إيه) مباشرة ؟
أوماً الرجل برأسه إيجاباً ، وقال فى برود :

- مستجد لديك كل الأوراق والتوقعات الرسمية .
قال قائد البوليس فى خشونة :

- لقد رأيت هذا .

ثم وضع الخطاب على سطح مكتبه ، والتكلم رسمين ، يقترب
شكلهما من هينتى (حسام) و (منى) ، وقال :

٨٢

- إنن فالمطلوب منا هو تجنيد معظم رجالنا ، للبحث عن رجل
وفتاة ، لهما هذا الشكل ، ثم نقوم بتسليميهما إلى
الـ (سى . آى . إيه) .

غمغم الرجل بنفس البرود :

- هذا صحيح .

رمقه قائد البوليس بنظرة تشف عن عدم الارتياح ، ثم أراح
الصورتين جانباً ، وقال :

- ولماذا خالفت الـ (سى . آى . إيه) القانون ، وعملت داخل
البلاد .. أليس من المفروض أن الأعمال الداخلية تخصنا ، أو
تخص الـ (إف . بى . آى) ؟

أجابه الرجل :

- إنها عملية خارجية ، ولكن تطور الأمور قادها إلى الداخل .
رد قائد البوليس :

- هكذا ؟

ثم هز رأسه لحظات فى صمت ، قبل أن يضيف :

- لقد وجدتم حلاً قانونياً .. أليس كذلك ؟

بدا شبح ابتسامة على ركن شفتى الرجل ، وهو يقول فى
افتضاب :

- بالتأكيد .

زفر قائد البوليس فى ضيق ، ثم ضغط أحد الأزرار على
مكتبه ، فوافته سكرتيرته على الفور ، وهى ترتدى زيها
الرسمي ، وتناولها صورتي (حسام) و (منى) ، وهو يقول :

- خذى يا (ليا) .. اصنعى مئات النسخ من هاتين الصورتين ،

وأرسلت نسخة من كل منهما إلى كل رجل من رجالنا ، في أركان (نيويورك) كلها ، وأبلغني الجميع أن هذا الأمر يحوز أولوية مطلقة .

أخذت الصورتين ، قائلة :

- سألتك هذا على الفور يا سيدي .

ولم تتمس أن تلقى نظرة على الرجل ذي المنظار الداكن ، قبل أن تشارب المكتب ..

وفهمت على الفور أن الأمر هذه المرة بالغ الأهمية .. والخطورة .

جلس (حسام) أمام المرأة المتهاكة ، في حجرة رديئة ، من حجرات فناء الدرجة الخامسة ، في أحد أحياء (نيويورك) ، رثت تحت أنفه شارباً مستعاراً أشقر اللون ، بعد أن انتهت من ارتداء شعر أشقر مستعار ، وعمستين زرقاوين لعينيه ، ثم التفت إلى (منى) ويسألها :

- ما رأيك ؟

شعرت بشيء من خيبة الأمل ، وهي تتطلع إلى تنكره ، الذي بدا لها ، على الرغم من إلتقائه ، أشبه بلعبة من لعب الأطفال ، مقارنة بما كان يقوم به (أدهم صبري) قديماً ، ولكنها تمتعت :

- لا بأس .

كانت ترتدي بدورها شعراً مستعاراً ، له لون كستنائي لامع ، ومنظراً ضحكاً ، أبذل هينتها تماماً ، ولكنها كانت تعتقد أنه من

السهل على أي شخص تعرفها هي و (حسام) ، لو أنه يبحث عنهما بالذات ، مما يملأ نفسها بالقلق والخوف ، والكثير من التوتر ، على عكس (حسام) ، الذي بدا هادئاً واثقاً ، وهو يقول :

- كل ما علينا الآن هو أن نغادر هذا الفندق الحقيقير ، وبعدها يمكننا قطع (نيويورك) كلها ، حتى نبلغ ذلك المنزل الامن ، في مواجهة منزل عزيزنا (فومستر) .

سألته في قلق :

- هل تتوى حقاً العودة إلى هناك ؟

أجاب في حسم :

- إنه أفضل مكان نذهب إليه ، فلن يتصور أحدهم أبداً أن نفر منهم ، ثم نعود إليهم هكذا .

أومأت برأسها متفهمة ، وقالت :

- ربما كنت على حق .

ابتسم قائلاً :

- اطمئني .. إنني على حق .

في نفس اللحظة ، التي نطق فيها عبارته ، كان اثنان من رجال الشرطة يدخلان إلى الفندق الحقيقير ، وأحدهما يقول للآخر :

- معفرة يا (ماك) .. إنني أحترم أسلوبك في التفكير ، ولكنني أعتقد أنه ما من جاسوس عاقل ، يقبل بالمبيت في فندق (ماريو) الحقيقير هذا .

أجابه (ماك) في حزم :

- ولو .. لابد لنا من دراسة كل الاحتمالات يا (آرثر) .

ثم تلقت حوله ، هاتفاً :

- (ماريو) .. أين أنت يا رجل؟

نق براحته جرساً بدأتياً صندناً ، فوق منصدة استقبال متآكلة ،
فظهر من باب جانبي رجل نحيل ، طويل الأنف ، يمسك بشفتيه
بقايا سيجارة ، كاد رمادها يحرق شفتيه ، وشعيرات ذقنه
النامية ، وهو يقول بعينين نصف مغلقتين :

- مساء الخير يا (ماك) ، وأنت يا (آرثر) ، ما الذي أتى بكما
هذه المرة؟ .. لقد قطعت كل صلاتي بالنساء والمخدرات ، و...
قاطعه (آرثر) في صرامة :

- لسنا هنا للتفتيش على الأشياء الروتينية يا (ماريو) .
غمغم الرجل في ارتياح وهو يلوك الكلمات بشفتيه ، كما لو
كان يوضع عقب السيجارة المشتعل بينهما :

- حقاً؟

أخرج (ماك) من جيبه صورتي (منسى) و (حسام) ،
ووضعها أمام (ماريو) ، قائلاً في لهجة خشنة :

- هل سبق لك رؤية هذين؟

ألقى (ماريو) نظرة خاوية على الرسمين ، وقال :

- أهذا هو الرسم ، الذي يتم صنعه ، باستخدام أوصاف
المتهمين ، و...

قاطعه (ماك) :

- هل سبق لك رؤيتهما؟

ألقى (ماريو) نظرة أخرى على الرسمين ، ثم سأل (ماك) في
اهتمام :

- أتوجد مكافأة للإرشاد عنهما؟

أجاب (ماك) في ضيق :

- لا .. لا توجد أية مكافآت .

وأضاف (آرثر) في سرعة :

- ولكن هناك استعداد للتفاوض عن بعض التجاوزات .

كرز (ماريو) بلهجته نصف النائمة :

- حقاً؟

ثم أشار بيده ، مستطرداً :

- إنهما بأعلى .. ثالث حجرة إلى اليسار .

تبادل (ماك) و (آرثر) نظرة ملؤها الدهشة ، قبل أن يسأله
(آرثر) في انفعال :

- أنت واثق يا (ماريو)؟ .. انظر للرسمين مرة أخرى .

بصق (ماريو) الجزء الأخير من عقب السيجارة ، وسحبه
بقدمه في قوة ، وهو يقول في تراخ :

- أنا لا أنسى أبداً وجهاً رأيته من قبل .

تبادل (ماك) و (آرثر) النظرات مرة أخرى ، وقال الثاني
للأول :

- اخرج أنت للطريق الجانبى ، وراقب السلم الخلفى جيداً ،
أما أنا ، فسأصعد مع (ماريو) إليهما .

قال (ماريو) معترضاً :

- ماذا تقول يا رجل؟ .. لقد أرشدتك إليهما فحسب .

اندفع (ماك) مغادراً المكان ، لمراقبة الشارع الجانبى ،
وسلام الطوارئ الخلفية ، في حين جذب (آرثر) (ماريو) من
ياقته ، وهو يقول في صرامة :

- ستصعد معى يا رجل ، شئت أم أبيت .



اندفع (أرثر) نحو النافذة المفتوحة ، ولكنه لم يجد يصر برأسه منها ،
حتى تلقى ركلة عنيفة في أنفه ، أسقطته على ظهره ..

همهم (ماريو) بعبارة ساخطة ، وصعد معه إلى الطابق
الثاني ، عبر درجات خشبية متأكلة ، حتى بلغا حجرة (حسام)
(و منى) ، فلقى (ماريو) بابها ، وقال :

- معذرة أيها السيد المحترم .. هل تطلب شيئاً من الشراب ؟

أتاه صوت (حسام) يقول :

- لا .. ليس الآن .

وهنا أزعج (أرثر) (ماريو) جانباً ، وهو يقول :

- بكفك هذا يا رجل .

ثم ركل الباب بقدمه في قوة ، فانتزعه من مفاصله الصلبة ،
وأنقاه وسط الحجرة ، وهو ينتزع مسدسه ، ويقفز وسطها ،
صائحاً :

- استسلما .. المكان محاصر .

تولف لحظة في توتر ، عندما لاحظ أن الحجرة خالية ، ولكنه
سمع في اللحظة نفسها دوي رصاصتين ، مقترباً بصوت
(ماك) ، وهو يصرخ في الخارج :

- (أرثر) .. إنهما يحاولان الفرار .

اندفع (أرثر) نحو النافذة المفتوحة ، ولكنه لم يكد بطل برأسه
منها ، حتى تلقى ركلة عنيفة في أنفه ، أسقطته على ظهره ، ثم
قفز (حسام) داخل الحجرة ، هاتفاً :

- معذرة يا رجل .. سأستعير مسدسك .

دوى في الوقت نفسه صوت رصاصة ثالثة ، اصطدمت بحافة
النافذة ، قبل أن تقلب (منى) عبرها إلى الداخل ، وتراجع
(ماريو) ملوحاً بكفيه ، وهاتفاً :

- إنني لم أخبرهما شيئاً .. أقسم لكما .

أما (ارثر) ، فحاول أن يعتدل ، قائلاً :

- لن نحصل على مسدس إلا فوق ..

قاطعهم (حسام) بركلة أخرى قوية في ذقنه ، أفقدته الوعي ، فسقط رأسه مرتطمًا بالأرض ، وانحنى (حسام) في سرعة يلتقط المسدس ، وهو يقول لـ (ماريو) في صرامة :

- ابتعد يا رجل .

قفز (ماريو) جانباً ، ومرتق (حسام) و (منى) من جانبه ، إلى خارج الحجرة ، ودوت خلفهما رصاصات رابعة من (ماك) ، الذي رفع جهازه اللاسلكي ، وهتف عبره في توتر شديد :

- هنا (ماك) ، من الفريق السابع .. لقد عثرنا على الهاربين ، ولحاج إلى نجدة قريبة وسريعة ، وإلى محاصرة المنطقة كلها .

لم يسمع (حسام) و (منى) هذا ، ولكنهما انطلقا بأقصى سرعتيهما ، لمغادرة الفندق الحقيقير ، واندفع (ماك) محاولاً اعتراضهما ، وهو يهتف :

- توقفاً أو أطلق النار .

ولكن (حسام) استدار إليه في سرعة مذهشة ، وأطلق عليه رصاصات ، ألقت به أرضاً ، ثم واصل اندفاعه نحو سيارة الشرطة ، و (منى) تهتف به :

- في هذا تختلف كثيراً عن (أدهم) .. إنه لم يكن مسرفاً في سفك دماء الآخرين مثلك .

قفز داخل سيارة الشرطة ، قائلاً في صرامة :

- اركبي بسرعة أيتها الرائد .

قفزت إلى جواره ، فأدار محرك السيارة ، وانطلق بها خارج الشارع ، ثم انحرف يمينا في عنف ، وتجاوز سيارة شرطة أخرى ، حاولت اعتراض طريقه ، وأطلق لمسيرته العنان ، وخلفه تدوي أبواق سيارات الشرطة الأخرى ، قبل أن يقول في ضيق :

- لقد أصبت ذلك الشرطي في كتفه فحسب . هتفت :

- حقاً ؟! .. لقد تصوّرت أن ..

قاطعها في حدة واضحة :

- متفاجئ الحديث عن هذا لما بعد أيتها الرائد .. الأتربين أن نصف شرطة (نيويورك) تطاردنا .

التثنت خلفها ، لترى خمس سيارات شرطة تطارد سيارتهما في إصرار ، و (حسام) براوغها كلها في مهارة مذهشة ، فينحرف في طريق جانبي ، أو يتجاوز إشارة مرور ، أو يسير عكس خطوط السير المعتادة ..

ولم يكن ذلك سهلاً .

لم يكن كذلك أبداً ، في مدينة شديدة الازدحام ، مثل (نيويورك) ..

ولجأة ظهرت أمامهما بعض المتاريس ، التي أقامها رجال الشرطة ، فصاحت (منى) :

- احترس يا (حسام) .

لم يجب ، وإنما زاد من سرعته ، ورأى بنادق رجال الشرطة مصوبة إليه ، فهتف في حزم :

- انحنى وتشبثي جيداً أيتها الرائد .

أطلق رجال الشرطة نيران بنادقهم عليه ، واختسرت
رصاصاتهم زجاج النافذة ، وخدشت إحداها كتفه ، في حين مرقت
الثانية على قيد سننيمتر واحد من عنقه ولكنه واصل انطلاقته ،
ورفع إطارات السيارة نحو حافة الإفريز ، و...
وقفزت السيارة في الهواء .

فلزت كطائرة صغيرة ، تشق الهواء ، ثم تهبط على إطاراتها
في عنف ..

وقفزت السيارة مرة أخرى عندما ارتطمت إطاراتها بالأرض ،
ثم واصلت انطلاقها بنفس السرعة ، ورصاصات الشرطة تنهمر
على زجاجها الخلفي ، وتحينه إلى فتات ..

ونهبضت (منى) من انحنائها ، وبقياء الزجاج المحطم
يفغرها ، وهتفت :

- لا يسعني إلا الاعتراف لك بالبراعة ، ولكن هل سنواصل هذا
طيلة الليل ؟

أجابها في حزم :

- كلا بالطبع ، ولكننا فقدنا مطاردينا الآن على الأقل ، وهذا
يمنحنا بعض الوقت . لتبديل خطتنا .

لم يكد يتم حديثه ، حتى ضحقت فرامل السيارة في عنف ،
وأوقفتها إلى جانب الطريق ، هاتفاً في (منى) :

- هيا .

غادرت معه السيارة ، وانطلقا يعدوان جنباً إلى جنب ، عبر
طرق جانبية ضيقة ، حتى بلغا نهاية ضخمة ، فقال (حسام) :

- أراهن أن إحدى نوافذ هذه البناية تطل على أسطح المباني
المجاورة .

خلفا من مرعتهما ، واتجها إلى البناية ، ولكن حارسها
استوقفهما ، قائلاً :

- مهلاً .. أليكما أية مواعيد سابقة ، لمقابلة أحد السكان
هنا ؟

كادت (منى) تتلفى هذا ، ولكن (حسام) قال بسرعة :

- وما شأننا بالمواعيد ؟. إننا هنا لاستئجار شقة بالبناية .

مط الحارس شفثيه ، وقال :

- لا توجد شقة خالية بالبناية كلها .

أجابها (حسام) بمنتهى الهدوء :

- ولكن هناك شقة ستغلو قريباً ، فمستر (مارك) وعائلته
سينتقلون إلى العاصمة (واشنطن) ، و..

قاطعها الحارس في صرامة :

- لا يوجد هنا من يحمل اسم (مارك) .

ضحك (حسام) ، قائلاً :

- لا ريب أنك مخطئ يا رجل .. لا يمكنك حفظ أسماء جميع
السكان هنا بالطبع .

قال الحارس في صرامة أكثر :

- قلت لا يوجد ساكن واحد ، يحمل اسم (مارك) .

لوح (حسام) بكفه ، قائلاً :

- أنت مخطئ حتماً .. إنني أحمل بطاقتي .

دس يده في جيبه ، ثم أخرجها فجأة ، وهي تحمل مسدسه ،
ودفع الحارس إلى الحائط في عنف ، وهو يالصق ذوهُة مسدسه
بعنقه ، قائلاً في قسوة :

- هل تعرفت البطاقة ؟

صاح الحارس في ذعر :

- لست أملك مالا .

دفعه (حسام) أمامه ، قائلاً في غلظة :

- افتح البوابة .

هتف الحارس :

- سأفقد عملي لو فعلت .

أجابه (حسام) في حدة :

- سأفعل أنا إذن .

ثم أدار فوهة مسدسه إلى البوابة الزجاجية الضخمة ، وأطلق

النار ..

وانهارت البوابة الزجاجية محطمة ، إثر الرصاصات التي

أصابتها ، ولكنها لم تكد تسقط ، حتى انطلقت صفارات إنذار قوية

في المكان ، وهتفت (منى) :

- يا إلهي ! .. الأمر يزداد سوءاً .

هتف (حسام) بدوره :

- ليس بعد .

وهوى على فك الحارس بلكمة كالقنبلة ، أسقطته فاقد

الوعي ، ثم أمسك يد (منى) ، وصاح :

- هيا بنا .. سننجح فقط لو أننا الأسرع .

انطلقا يعنوان إلى داخل البناية ، واستقلا أحد مصاعدها

الأربعة إلى الطابق العاشر ، وهناك أسرعوا نحو نافذة تطل على

بنية جانبية ، وقال (حسام) :

- المسافة من هنا إلى سطح تلك البناية المجاورة ، لا تزيد

على ثلاثة أمتار .. أيمكنك القفز عبرها ؟

هزت رأسها تلياً ، وقالت :

- لا .. لا يمكنني هذا .

قال في حزم :

- بل يمكنك هذا .

أخرج مسدسه ، وأطلق رصاصاته على الزجاج ، فحوّله إلى

فئات تتناثر في الهواء ، وتراجع قائلاً :

- هيا أيتها الرائد .. سنصير هذه الأمتار الثلاثة .

صاحت به :

- لن يمكنني هذا أبداً .

هتف في صرامة :

- حاولي .. ليست أمامنا وسيلة أخرى .

تراجع أكثر ، ثم اندفع نحو النافذة المحطمة ، هاتفاً :

- سأبدأ بنفسي .

رأته يدعو نحو النافذة ، ثم يقفز معتمداً بقدمه اليمنى على

حائتها السفلى ، ويدفع جسده كله في الهواء ، فلم تتمالك نفسها

من إطلاق شهقة قوية ، وجسده يسبح على ارتفاع ثلاثين متراً ،

لثانيتين أو أكثر ، قبل أن تستقر قدماء على سطح المبنى

المجاور ..

وفي حماس ، التفت إليها ، وهتف :

- هيا أيتها الرائد .. لقد نجحت أنا ، ويمكنك أن تنجحى مثلي .

تراجعت في قلق ، وخيل إليها أنها لن تنجح أبداً ، ولكن صوت

أبواق سيارات الشرطة بلغ مسامعها ، وأدركت أن صفارة الإنذار قد أرشدتهم إلى موقعهما ، وأنه لم يعد هناك من أمل ، سوى النجاح في القفز إلى سطح البناية المجاورة ، فالتقطت نفسها عميقاً ، وقرأت في أعماقها آية قرآنية قصيرة ، ثم اندفعت بكل قواها ، حتى بلغت النافذة ، فقفزت إلى إطارها السفلى ، ثم دفعت جسدها إلى الأمام ..

واتسعت عينها في رعب ، عندما أدركت من خط سير جسدها ، أنها لن تبلغ السطح أبداً .

وكانت على حق ..
لقد أخطأت السطح بنصف المتر فحسب ، ووجدت نفسها تهوى ..

تهوى من ارتفاع ثلاثين متراً ..
وبلا أمل .

★ ★ ★



٩- الحصار ..

اندفع (داني) إلى حجرة مكتب (فوستر) ، وهو يهتف في حماس :

- لقد عثرت عليهما الشرطة .

رفع (فوستر) عينيه إليه ، وسأله في لهفة :

- هل أنقوا القبض عليهما ؟

هز (داني) رأسه نفياً ، وقال :

- ليس بعد ، ولكنهم يطاردونهما عبر شوارع المدينة .

مط (فوستر) شفطيه نفياً ، وقال :

- لن يظفروا بهما .

سأله (داني) في دهشة :

- ولماذا تجزم بهذا يا سيدي ؟

لوح (فوستر) بكفه ، وقال :

- لأنه أمر طبيعي .. من يلحق الآخر في رأيك ، الشرطة أم

المخابرات ؟

ابتسم (داني) في شيء من الغرر ، قائلاً :

- وهل يحتاج الأمر إلى التساؤل ؟

ابتسم (فوستر) بدوره ، قائلاً :

- هذا هو الجواب إذن .

عاد (داني) يعتقد حاجبيه ، وهو يقول :

- ما الحل إذن؟ .. إننا لانستطيع الاشتراك في المطاردة ،
ومن الضروري في الوقت نفسه ، أن نظهر بهما .

بدت علامات التفكير العميق على وجه (فوستر) ، وهو يعتمد
بجبهته على أصابعه المفرودة ، مردداً :

- لا بد من وجود وسيلة ما .. لا بد .

رأى صمت تام على الحجرة ، لم يجرؤ (داني) على قطعه ، أو
مناقشة تفكير رئيسه ، الذي جمد في مكانه طويلاً ، حتى بدا أشبه
بتمثال من الرخام ، قبل أن يعتدل بفتة ، وعينه ترقان في شدة ،
وهو يهتف في حرارة :

- نعم .. هذه هي الفكرة .

سأله (داني) في لهفة :

- هل توصلت إلى شيء ما يا زعيمى ؟

أزداد يريق عيني (فوستر) ، وهو يقول :

- بالطبع يا عزيزي (داني) .. بالطبع .

ثم نهض من خلف مكتبه ، مستطرداً :

- دع رجال الشرطة يواصلون مطاردتهم لخصميننا
يا (داني) ، ولنعمل نحن بأسلوبنا ، وسنرى من يربح اللعبة في
النهاية .. من يربحها في رأيك ؟

ابتسم (داني) قاتلاً :

- هل تسألني ؟

كان الجواب يحمل الكثير من الثقة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد
بقى السؤال فوق رعوس الجميع ..

من يربح اللعبة في النهاية ؟ ..

من ؟ ..

٩٨

لم تنجح (منى) في قفزتها ..
لم تمكنها عضلاتها الأتوية الضعيفة من عبور هذه الأمتار
الثلاثة بقفزة واحدة ..

ورأت نفسها تسقط ..

تسقط من ارتفاع عشرة أذوار ..

واتسعت عيناها في رعب ، وأطلقت صرخة فزع ، وهي تمد
يدها للتثبيت بأي شيء ، أو أى شخص ، أو ..

وفجأة أمسكت يد قوية معصمها ..

يد ذات أصابع حديدية ، أحاطت بمعصمها في قوة لتمنعها من
السقوط ..

كانت أصابع (جسام) ، الذي تشبث بحافة السور بيده
اليمنى ، وهو يقبض على معصمها بيده اليمنى ..

وشعرت (منى) بالآلم شديدة في يدها ، وهو يجذبها إليه في
قوة ، هاتفاً :

- أخطأت بنصف المتر فحسب .

نجح في رفعها ، بجذبة واحدة ، إلى حافة السطح ، فتشبثت
بها ، وجذبها هو مرة أخرى بكل قواه ، لتجد نفسها راكدة على
السطح ، وهي تلهث في قوة والفعال ، وهو يقول في خلوت :

- إهدنى .. لقد انتهى كل شيء .. لقد نجوت .

قالت بصوتها اللاهث :

- لقد .. لقد أنقذت حياتي .

ابتسم ابتسامة خفيفة ، وهو يقول :

- يسعدنى أن فعلت .

٩٩

ثم غمز بعينه ، مستطرداً :
- ولكننا سنضطر للتصريف ، قبل وصول رجال الشرطة
للأسف .

أومات برأسها إيجاباً ، وهي تنهض في تهالك ، قائلة :
- أعلم هذا .. أعلم هذا .
عاونها على النهوض في رفق ، وقادها نحو باب المسطح ،
قائلاً :

- سيكشفون أمر قفزنا إلى هنا ، بعد خمس دقائق على الأكثر ،
والمفروض أن ننجح في الابتعاد عن هنا بأقصى سرعة ، قبل هذه
الدقائق الخمس .

قالت في خفوت :
- سأبذل قصارى جهدى .
لم تدر لماذا بدا لها - في هذه اللحظة بالذات - شديد الشبه
بـ (أدهم صبرى) ؟!

ربما لأنه أنقذ حياتها ..
أو لأنه كان حنوناً رقيقاً ..
أو لسبب لم تدره بعد ..

المهم أنها شعرت ، وهي تهبط معه إلى الطابق السفلى ، في
الشارع الخلفى ، وكأنها تسير إلى جوار (أدهم) نفسه ..
وعندما بلغا ذلك الطريق ، خلف البناية الضخمة ، أشار إلى
سيارة متوقفة ، إلى جوار المبنى المجاور ، قائلاً :
- ها هي ذى وسيلة المواصلات ، التي ستقلنا بعيداً عن هنا .
سأنته :



بد ذات أصابع حديدية ، أحاطت بمعصمها في قوة تمنعها من السقوط ..

- وكيف سنحصل عليها ؟
هـ (كتفيه ، قائلاً :

- الضرورات تبيح المحظورات يا عزيزتى .. إننا سنمرقها
بالطبع .

مطت شفيتها ، قائلة :

- هذا يشعرنى بالإثم ، ولكنك على حق .. الضرورات تبيح
المحظورات .

أخرج من حزامه أداة رفيعة ، دسها فى ثقب مفتاح باب
السيارة ، وأخذ يعالجه فى هدوء ، حتى سمعت (منى) نكة
خافقة ، قال (حسام) بعدها :

- ها هى ذى .

ثم فتح الباب فى حرص ، وقلزت يده فى سرعة ، تضغط زر
الإضاءة داخل السيارة ، قبل أن ينطلق جهاز الإنذار ، الذى
يضيفه الأمريكيون عادة إلى سياراتهم ، وقال لـ (منى) :

- هيا .. أسرعى إلى الجانب الآخر .

جلس خلف عجلة القيادة ، ورفع سيابته عن زر الإضاءة ،
وهو يفتح الباب فى سرعة ، ثم ضغط زر الباب الآخر ، وفتحه
لـ (منى) ، التى جلست على المقعد المجاور له فى سرعة ،
وأغلقت بابها بدورها ، وقالت فى ارتياح :

- لم ينطلق جهاز الإنذار .

تمتم وهو ينتزع بعض الأسلاك ، من لوحة العدادات :

- لحسن الحظ .

أوصل الأسلاك ببعضها البعض ، فاشتعل المحرك ، واعتدل
هو بمسك عجلة القيادة ، قائلاً فى حزم :

- إلى منزلنا الآمن ، دون توقف .

انطلق بالسيارة فى هدوء ، وعبر الشارع الخلقى إلى الطريق
الرئيسى ، وواصل طريقه دون مشاكل ، حتى أن (منى) شعرت
بارتياح شديد ، واسترخت فى مقعدها ، وتركزت جفنها العلوى
ينزلق فى إرهاق ، نيلتقى بجفنها السفلى ، ويترأخيان معاً وهى
تسبلهما فى رفق ، وألقى (حسام) نظرة مشفقة عليها ، ثم واصل
طريقه وسط السيارات الأخرى فى هدوء ، خشية إيقاظها ..

ثم ظهرت سيارة شرطة فى مفترق الطرق ، وهى توقف
السيارة القادمة كلها ، لتفحص أوراقها وأوراق راكبيها ، فالتقى
حاجباه فى توتر ، وهو يتمتم :

- ألن تنتهى هذه الليلة أبداً ؟

انضم إلى طابور السيارات فى بساطة ، وترك رجال الشرطة
يلحصون كل السيارات التى أمامه ، حتى حان دوره ، فاقترب
منه رجل الشرطة ، يقول :

- أوراك يا سيدى .

ابتسم قائلاً :

- أتريد أوراقى حقاً أبها الشرطى ؟

قال الشرطى فى صرامة :

- لا وقت لهذا المزاح يا سيدى .. أبرز أوراك على وجه
السرعة .

هـ (حسام) كتفيه ، وقال :

- حسناً .. مادمت تكره المزاح ، فليس أمامى سوى ..

ضغط دواسمة الوقود فى سرعة ، مستطرداً :

- الفرار .

انطلقت السيارة على نحو مباغت ، وارتطمت بجانب سيارة الشرطة ، ثم اندفعت مبتعدة في سرعة ، وصاح رجل الشرطة ، وهو يصوب مسدسه إليها :

- إنه هو .. إنها الهاربان .

انطلقت (منى) على صوت الرصاصات ، والتي أصابت إحداها زجاج السيارة الخلفي وحطمته تحطيماً ، فهتفت في دعر :
- ما هذا ؟

أجابها (حسام) في هدوء ، وهو يراوغ بسيارته في مهارة ، مبتعداً عن دائرة الحصار :

- واصلى نومك أينها الرائد .. إنه مجرد كمين آخر ، تجاوزناه في نجاح .

التفتت تنظّل إلى الزجاج المكسور ، قائلة :

- ألن ينتهي هذا ؟

ابتسم قائلاً :

- أظننا تجاوزنا دائرة الحصار .. هذا لو أن رجال شرطة (نيويورك) ، لم يطؤوا كثيراً أساليبهم ، التي دربتنا عليها الإدارة .

قالت وهي تعتدل :

- ولكنهم سيبلغون أوصاف هذه السيارة للجميع .

أجابها في هدوء :

- إنه أمر أبسط مما تتصورين .

وضغط فرامل السيارة ، مستطرداً :

- سنتركها لهم .

أوقف السيارة ، وغادرها بنفس وسيلة دخولها ، نون أن ينطلق جرس الإنذار داخلها ، وابتسمت (منى) ، وهي تقول :

- هل سنسرق سيارة أخرى ؟

قال في بساطة :

- لماذا ؟ .. إننا سنفعل مثل أي نيويوركى محترم .

وزفع منابته ، مستطرداً باهتمام مرحة :

- سنستقل سيارة من سيارات الأجرة .

سارا في هدوء إلى شارع آخر ، وهناك استقلا سيارة من سيارات الأجرة الصفراء ، إلى منطقة قريبة من منزلهما الآمن ، ومن هناك واصلا طريقهما سيرا على الأقدام ، عبر عدد من الطرق المتشابكة ، حتى بلغا شقتهما ، ولم تكد (منى) تلمح البناية ، التي تضم الشقة ، حتى قالت في ارتياح بالغ :

- أخيراً .

ابتسم (حسام) ، قائلاً :

- يسعدنى أن يروق لك المكان ، فسنضطر لقضاء بعض الوقت فيه ، حتى نجد وسيلة أخرى ، لبلوغ موضع (هارولد) ، وإنقاذه من أيدي هؤلاء الأوغاد .

سألته وهما يصعدان إلى شقتهما :

- أتظننا سنجد وسيلة أخرى ؟

أجاب في حزم :

- إننى لا أفقد الأمل قط .

بلغا الشقة ، وفتح هو بابها ، وقال في مرح :

- تفضلي يا أميري.

دخلت إلى المكان ، وامتنعت بعدها تضيء مصباح الردهة ، و ..
ولكن الأضواء غمرت المكان فجأة ، مع صوت (فوستر) ،
وهو يقول في لهجة تجمع بين السخرية والشماتة :
- ما الذي أخركما حتى هذه الساعة ؟ .. إننا ننتظركما منذ زمن
طويل .

وكان المكان يمتلئ برجال المخابرات الأمريكية ..
وبرائحة الموت .

★ ★ ★



١٠ - السقوط ..

كان وقع المفاجأة ، على (حسام) و (منى) قاسياً بالفعل ..
خاصة بعد كل هذا ..

لقد خاضا مع الكثير من المتاعب والصعاب ، حتى بلغا المكان
الوحيد ، الذي يتصوران أنه آمن ، في (نيويورك) كلها ، فإذا
بهما يسقطان فيه ، في أيدي خصومهما ..

وفي وجهيهما ، ارتفعت فوهات عشرة مدافع آلية ، وبينها
بدت ابتساماً (فوستر) الشامتة الساخرة ، وهو يقول :

- مرحباً يا عزيزي (دافيد) .. مرحباً يا عزيزتي (ليا) .. بأية
لغة تحدثتما ، عندما دخلتما إلى هنا .

أجابه (حسام) في حنق :

- استنتج بنفسك أيها العبقري .

ابتسم (فوستر) ، قائلاً :

- إنها ليست العبرية على أية حال .

حاولت (منى) أن تصيغ صوتها بنبرة ارتياح ، وهي تقول :

- بالطبع .. إنه ليست العبرية .

وأثمرت محاولتها جيداً ، فقد رمقها (فوستر) بنظرة حادة

طويلة ، قبل أن يقول في بطم :

- إنكما تتعمدان عدم التحدث بها .. أليس كذلك ؟

أشاحت بوجهها ، دون أن تجيب ، مما عمق الفكرة داخله ،

فقال في صرامة :

- مستبهاً حرجاً شديداً لدولتكما .

أجاب (حسام) في برود :

- ليس هذا من شأنك .

نهض (فوستر) من مقعده ، وأخرج من جيبه سيجاراً ضيقاً ، فضم طرفه ، ثم وضع الطرف الآخر بين شفتيه ، وأشار إلى أحد رجاله ، فأسرع يشعله له ، ونفث هو منه نفساً عميقاً ، قبل أن يقول :

- أتعلمان .. أنني لا أأخذ في الواقع ، فمن الخطأ - كما تعلمان - أن يرتبط أحد العاملين في مهنتنا بالعادات السيئة ، مثل التدخين ، واحتساء الخمر ، وتناول المخدرات ، وغيرها ، فهذا يضعف من قدراته ، و ...

قاطعه (حسام) في سخرية مريرة :

- أمن الضروري أن نستمع إلى نصائحك الغالية ؟ .. ألا يمكن إعدامنا مباشرة ؟

صمت (فوستر) لحظات ، وهو يتطلع إليه ، ثم قال ملوحاً بكفه :

- لا .. لمستما مضطرين لهذا .

ثم اعتدل ونفث دخان سيجاره مرة أخرى ، مستطرداً :

- إنني أحتفل بانتصاري عليكما فحسب .

قال (حسام) ساخراً :

- وهل يدفعك هذا إلى انتحال شخصية قاطرة بخارية ؟

بدا الضيق على وجه (فوستر) ، وهو يقول :

- أنت وقبح أكثر مما ينبغي .

ثم عاد يلوح بكفه ، مستطرداً :

- فليكن .. مستدفع ثمن وقاحتك هذه فيما بعد ، أما الآن فأظنكما تتلهغان على معرفة كيفية توصلي إليكما .

قالت (منى) في برود :

- هذا الأمر لا يهمني قط .

واجهها قائلاً :

- كذب .. أنت امرأة .. وكل النساء يمتزجن بالفضول ، ولا يمكنهن كتمان فضولهن أبداً .

قالت في حزم .

- فيما عداي .

كرز في صرامة :

- كذب .

ثم راح يسير أمامهما ، وهو يواصل :

- عندما تعقبت الأمور ، رحت أبحث عن وسيلة منطقية

للعثور عليكما ، وعندما تذكرت أن أجهزة الفحص في منزلي ، كانت قد أثبتت أن (ليا) لم تكن تحمل معها أجهزة تصنت ، عندما

دخلت المنزل ، فمن أين أتت بالجهازين ، اللذين زرعتهما في حجرة مكتبي ؟ .. كان الجواب المنطقي الوحيد هو أنها أحضرتهما

من النافذة الوحيدة بالحجرة .. ورحت أتخيل عزيزتنا (ليا) ، وهي تفتح النافذة ، بعد أن غادرت أنا الحجرة ، بسبب قصة

القنبلة السخيفة ، ثم يقذف إليها شخص ما جهازاً للتصنت عبر النافذة .. نعم .. كان هذا منطقياً ، والوسيلة الوحيدة ، التي

يمكنها بلوغ نافذة الحجرة ، دون أن ينتبه إليها رجالى ، هي سهم مثلاً .. سهم عادي يطلقه شخص يجيد استخدام القوس والسهم .

اعترفت (منى) بذكاء (فوستر) الشديد ، عند هذه النقطة ،
وبأنه يستحق عن جدارة لقب (ثعلب المخابرات) ، الذى اشتهر
به ، واستمعت إليه بمزيد من الاهتمام ، وهو يتابع :

- كان هذا ينقلنا مباشرة إلى السؤال التالى ، وهو : من أية
نقطة يمكن إطلاق مثل هذا السهم ، ليلوغ نافذة حجرة مكتبتي ؟ ..
وكان الجواب بالغ البساطة .. إنه إحدى شقى البناية المواجهة
لمنزلى تماماً .. وهنا أصبحت المشكلة بالغة البساطة .. يكفى أن
نسأل حارس البناية ، عن أصحاب الرسمين ، اللذين وضعهما
أحد خبراء الإدارة ، لنعلم أية شقة تحتلان ، ونصل إليكما بهذه
السهولة .

انتهى من حديثه ، وابتسامة الزهو والثقة تملأ وجهه كله ، ثم
ساد صمت تام داخل المكان ، قطعه (فوستر) ، وهو يسأل
(حسام) :

- مارأيك ؟

أجابه (حسام) فى برود :

- الواقع أننى أفضل أفلام (شارلى شابلن) (*) .

قال (فوستر) فى سخرية :

- من المؤسف أنك لن تجد الكثير منها فى السجن .

بدا شبح ابتسامة على وجه (حسام) ، وهو يقول :

(*) (تشارلز سبنسر شابلن) (١٨٨٩ - ١٩٧٧ م) : مخرج وممثل ومنجح سينمائي
أمريكي . من أصل بريطاني . ابتكر واحدا من أفضل الشخصيات الهزلية السينمائية .
وهي شخصية (شارلى الصعلوك) ، فى سنوات السينما الصامتة وهي لشخص هزيل
ضئيل . يحاول دائما التغلب على مشكلات شبيه مستحيلة ، من أشهر أفلامه : (الباحث
عن الذهب) ، (أضواء المدينة) ، (العصر الحديث) ، و (التيكيتاتور) ..

- هل تراهن ؟

وفجأة انقض (حسام) على (فوستر) ، وأحاط عنقه بذراعه

اليسرى ، فى نفس اللحظة التى استل فيها مسدسه بيمينه ،
وألصقه برأس الرجل ، هاتفاً فى سخرية :

- أخطأت بمحاضرتك المملة يا رجل .. كان ينبغي أن تأمر
رجالك بتفتيشنا أولاً .

تحفظ رجال (فوستر) لإطلاق النار ، ولكن (حسام) صاح بهم
فى صرامة :

- حذار أن يتحرك أحدكم ، وإلا انفجر رأس زعيمكم الوغد هذا
كبالون كبير .

هتفت (منى) بالإنجليزية :

- أحسنت .

وقال (فوستر) فى حق :

- أنتلنك ستربح هكذا ؟

أجابه (حسام) فى صرامة :

- نعم .. أظننى سأفعل ، فلن يجرؤ أحد أوغادك على إطلاق
النار ، وأنا أصنع منك درعا .

قال (فوستر) فى حدة :

- لن يملكك الفرار حتماً ، حتى لو احتفظت بى كرهينة .

شد (حسام) من ضغط ذراعه على عنقه ، وهو يقول :

- دع هذا لى .

أجابه (فوستر) فى غضب :

- ولى أيضاً يا فتى .



أما (فوستر) ، فقد اندفع نحو (حسام) ، وانحنى بفحص وريده العنقي في اهتمام ..

وفجأة ارتفعت يد (فوستر) ، لتمسك بمعصم (حسام) ، في اليد الممسكة بالمسدس ، وترفع فوهة المسدس عاليًا ، ثم دفع مرفق ذراعه الأخرى في معدة (حسام) ، وانزلق بجسده متحرزًا من ذراعه ، وملقيا نلسمه أرضًا ، وهو يصرخ :
- الآن يارجال .

وانطلقت رصاصات مدافع رجاله :
انطلقت كلها نحو (حسام) ..
وفي هذه المرة ، استقبل جسد البطل معظم الرصاصات ، التي انتزعت جسده من مكانه ، وضربته بالحائط ، قبل أن يسقط على وجهه ، مع صرخة (منى) :

- لا .. لا ..
رأت الدماء تسيل من جسد (حسام) ، الذي انتفض في قوة ، ثم خمدت حركته تمامًا ، فعادت تصرخ :

- لا .. لا ..
ثم سقطت منهارة ، وهي تبكي في حرارة وألم .
أما (فوستر) ، فقد اندفع نحو (حسام) ، وانحنى بفحص نبض وريده العنقي في اهتمام ، ثم هتف :

- إنه حي .
هتف أحد رجاله في دهشة :

- حي ..؟! بعد كل هذه الرصاصات؟!
تجمدت الدموع في عيني (منى) ، وهي تحنق في جسد (حسام) في دهشة وأمل ، في حين فحص (فوستر) جسد (حسام) في سرعة ، قبل أن يهتف :

- عجبنا !! إنه يرتدى قميصاً واقياً من الرصاصات ، ولكن يبدو أن إحدى رصاصاتنا اخترقت جانب عنقه ، واشتركت مع ارتطامه بالحائط ، في إصابته بفقدان الوعي هذا .. أسرعوا في طلب سيارة إسعاف إنن .. أسرعوا .

وهذا الفرطت (منى) مرة أخرى في بكاء حار .. وكان طعم دموعها ، في هذه المرة ، يختلف .. كانت دموع ارتياح لنجاة (حسام) من الموت .. وهذا هو الربح الوحيد ، في المهمة كلها .. المهمة التي فشلت .. فشلت تمامًا ..

★ ★ ★



١١ - الفشل ..

« فشلت !؟ .. »

نطقها مدير المخابرات في شحوب شديد ، وهو يتطلع إلى مساعده في ارتياح ، فأومأ مساعده برأسه إيجاباً في أسف ومرارة ، وهو يقول :

- نعم ياسيدى .. يمكنك أن تعتبر هذه المهمة فاشلة تمامًا .. لقد فشل (حسام) و (منى) في إنقاذ (هارولد) ، أو حتى قتله ، وعلى العكس ، فقد نجح رجال الـ (سى . آى . إيه) في إلقاء القبض عليهما ، وإصابة (حسام) بإصابة خطيرة ، لم يستعد وعيه منها حتى الآن ، وهم يحتفظون به في مستشفى السجن المركزي ، أما (منى) ، فسيتم تقديمها إلى المحاكمة ، بتهمة الجاسوسية .

سأله المدير في حزن شديد :

- وهل عرف الأمريكيون هوية (حسام) و (منى) ؟
أجابه مساعده :

- لا ياسيدى .. وهذه هي النقطة الوحيدة في صالحنا ، في العملية كلها ، ولكنها نقطة مؤقتة ، فلن يلبث الأمريكيون أن يكشفوا أمرهما ، مع مرور الوقت .

زفر المدير في مرارة ، وهز رأسه ، قائلاً :

- أعلم هذا .. إنها مسألة وقت .. مسألة وقت فحسب .

ثم رفع عينيه إلى مساعده ، مستطرذا :

.. أعلمت الآن لماذا كنت أقتر (أدهم صبرى) ؟

قطب المساعد حاجبيه ، وقال :

.. وماذا كان (أدهم صبرى) سيفعل ، فى مثل هذه الظروف ؟

قال المدير :

.. الكثير .

ثم خفض عينيه ، مستطرذا فى أسى :

.. ولكن لكل شيء نهاية .. لقد مضى عصر (أدهم صبرى) ..

مضى إلى الأبد ..

« أنت متهمه بالتجسس على حكومة الولايات المتحدة

الأمريكية .. هل تعترفين بالتهمة أم ترفضينها ؟ »

وجه قاضى المحكمة الفيدرالية هذه العبارة لـ (منى) ، فى

صرامة واضحة ، فرفعت (منى) إليه وجهها الشاحب المتهالك ،

وقالت :

.. أرفضها بالطبع ، فلم آت إلى هنا للتجسس .

سألها فى صرامة :

.. لماذا تخفين حقيقة جنسيتك إذن ؟

أجابته بصوت متعب مكدود :

.. هذا شأنى .

رمى القاضى بنظرة ازدراء ، وكأنما لم يرق له جوابها ، ثم

سألها :

.. هل يمكنك توكيل محام للدفاع عنك ، أم تتدب لك المحكمة

محاميا لهذا ؟

أجابته فى بأس :

.. فلتنسحب المحكمة من تشاء .

كانت القاعة خالية تماما ، إلا منها ، ومن رجلى مخابرات

أمريكيين ، والقاضى والحاجب ، وكاتب الجلسة ، فلم تكن جلسة

محاكمة ، وإنما كانت جلسة تحديد موعد ونوع المحاكمة ، لذا فقد

قال القاضى فى حزم :

.. ستتم المحاكمة بعد أسبوعين من الآن ، وستتدب هيئة

المحكمة محاميا للدفاع عنك ، وإلى هذا الحين ، تأمر بحبسك

احتياطيا ، فى السجن النسائى الفيدرالى .

كانت قد سمعت الكثير عن السجن الفيدرالى ، وتعلم أنها

ستنقى فيه أسوأ أسبوعين فى عمرها كله ، مالم تقض فيه كل

عمرها هذا ..

ولم يكن لديها ماتفعله ..

لقد فشلت المهمة ، ووقعت فى أيدى خصومها ..

لقد واجهت أخيرا ما كانت تخشاه طيلة عمرها ..

وفى استسلام تام ، تركتهم يحصلون على بصماتها ،

ويقودونها إلى السجن الفيدرالى الرهيب ، وعندما أبدلت ثيابها -

بنوب السجن الرمادى الكئيب ، سألها مأمور السجن :

.. هل ترغبين فى شيء قبل دخول زنزانتك ؟

كادت تعلن رفضها الحصول على أى شيء ، إلا أنها لم تثبت أن

تذكرت أمرا ما ، بعث فى نفسها شيلا من الأمل ، فتردأت لحظة ،

ثم قالت :

.. إن لى الحق فى إجراء محادثة هاتفية واحدة .. أليس كذلك ؟

أجابها مأمور السجن :

- نعم .. لك الحق في هذا .

تردأت مرة أخرى ، ثم سألته :

- ألى الحق في طلب هذه المحادثة ، عبر المحيط ؟

تبادل مأمور السجن نظرة متسائلة مع نائبه ، الذى قال :

- القانون لم يحدد مدى المحادثة .. نعم أظن من حقلك هذا .

سألته في حزم :

- وهل من حقى ألا يستمع أى مخلوق للمحادثة ؟

أجابها المأمور :

- هذا من حقلك تمامًا .

شعرت بالارتياح ، وهى تقول :

- فى هذه الحالة أريد التحدث هاتفيا ، عبر المحيط .

كان هذا هو أملها الوحيد ..

والأخير ..

★ ★ ★

تهالك (هارولد) تمامًا ، فوق ذلك المقعد الضخم ، الذى قيد رجال الـ (سى . آى . إيه) أطرافه إليه ، والذى اتصلت به عدة أسلاك كهربية طويلة ، تنتهى عند جهاز فى حجم منضدة صغيرة ، جلس خلفه أحد الرجال ، الذين يرتدون المناظير السوداء ، وأخذ يداعب أزراره بسبائته فى تراخ ، قائلا :

- هيا يا عزيزى (هارولد) .. إنك رجل صلب بحق ، فقد احتملت الكثير حتى الآن ، واستطعت كتمان سرى فى أعماقك ، ولكنك بشر يا عزيزى .. مجرد بشر ، ومهما بلغت قدرتك على

الاحتمال ، فستنهال حتمًا وتعترف .. صدقتى .. لقد شاهدت

عشرات مثلك ، فى نفس الموقف .

قال (هارولد) فى تهالك :

- ما تفعلونه بى غير قانونى .. ستعاقبون من أجل هذا .

ابتسم الضخم فى مخفية ، وهو يقول :

- غير قانونى ؟ .. يالك من غر ساذج يا عزيزى

(هارولد) ! .. ألم تتعلم شيئا بعد ، من إقامتك فى (أمريكا) ، أو من

العمل معنا ؟ .. ليس المهم هنا أن يكون العمل قانونيًا ، أو غير

قانونى يا (هارولد) .. المهم أن يمكنك إثبات هذا .

قال (هارولد) :

- أنتم أوغاد .

اتسعت ابتسامة الضخم ، وهو يقول :

- أنت على حق يا عزيزى (هارولد) .. أنت على حق .

وفى هدوء ، لمس أحد أزرار الجهاز ، فانتفض جسد (هارولد)

فى قوة ، وانضغطت أسنانه فى وجه صرخة ألم مكتومة ،

استغرقت ثوانى معدودة ، قبل أن يرفع الضخم سبائته عن الزر ،

قائلًا بابتسامة متشفية :

- هل يروق لك هذا يا (هارولد) ؟

تهالك (هارولد) تمامًا مرة أخرى ، وتصيب على جبينه عرق

غزير ، فى حين أطلق الضخم ضحكة عالية ، وقال :

- لمسة بسيطة لأحد الأزرار ، ويسرى فى جسدك تيار كهربى

محدود ، قد لا يكفى لقتلك ، كما يحدث فى الإعدام بالكهرباء

الكهربائى ، ولكنه مثالى لتقبض كل عضلة فى جسدك ، مع الأم

رهيبة .. لمسة واحدة يا عزيزى (هارولد) .

لعبته المفضلة، وألقى نظرة محنقة على الجهاز، وأخرى على (هارولد)، قبل أن يقول :

- كما تأمر يا مستر (داني) .. كما تأمر .

وغادر الحجرة في خطوات سريعة حاسمة ..

ولثوان، بعد مغادرته الحجرة، ساد صمت تام في المكان، ثم اتجه (داني) إلى حيث يجلس (هارولد)، ورئت على كتفه، قائلاً :

- كيف حالك ؟

قال (هارولد) في مرارة :

- ياله من سؤال صفيق !

مط (داني) شفتيه، وقال :

- أعلم أنك تمقت ما فعلناه بك يا عزيزي (هارولد) .. ولكن ما ذنبنا نحن .. أنت أجبرتنا على هذا بعدناك وإصرارك على كتمان الأمر .

قال (هارولد) في سخط :

- هناك وسائل قانونية .

ابتسم (داني) في سخرية، وقال :

- قانونية ؟ .. أه .. بالطبع يا عزيزي (هارولد) .. هناك

وسائل قانونية .

ثم اتجه نحو الجهاز الرهيب، ورفع سنابته أمام وجهه، مستطرداً :

- وهناك وسائل أفضل .

ارتجف (هارولد) هذه المرة، وهو يتصور سنابته (داني)

تلمس الأزرار، وتطلق في جسده ذلك التيار الكهربى المولم ..

قال (هارولد) في انهيار :

- إنها لمسة شر .. مستدفعون ثمنها غالباً .

قهقه الضخم ضاحكاً مرة أخرى، وقال :

- ندفع ثمنها ؟ .. من الواضح أنك لم تفهم بعد يا (هارولد) .

ولمس الزر مرة أخرى، فأطلق (هارولد) صرخته المكتومة،

وراح جسده ينتفض في عنف، قبل أن يرتفع صوت صارم في

الحجرة، قائلاً :

- كفى .

رفع الضخم سنابته عن الزر في سرعة، وانهار (هارولد)

على مقعده، و (داني) يقول في غضب :

- ماذا تفعل يا رجل ؟ .. هل نسيت من أنت، وماذا تفعل هنا ؟ ..

إننا جهاز مخبرات محترم، يقوم باستجواب عميل خائن، ولسنا

مجموعة من النازيين، تستمتع بتعذيب أسير .

ارتبك الضخم، وهو ينهض قائلاً :

- لم أقصد هذا يا مستر (داني)، ولكن ..

قاطعه (داني) غاضباً :

- من الواضح أنك تحتاج إلى علاج نفسي يا رجل .

ازداد ارتباك الضخم، وهو يقول :

- ليس إلى هذا الحد يا مستر (داني) .. الواقع أنني ..

قاطعه (داني) مرة أخرى في حزم صارم :

- اذهب يا رجل .. عد إلى الإدارة، فقد تم إعفاؤك من هذه

المهمة .

بدا الضيق على وجه الرجل، كما لو كان طفلاً، انتزعت منه

إنها أكثر لمسة يكرها ويمقتها، في الكون كله ..
لمسة الشر ..

والألم ..

والعذاب ..

وفي تهالك، قال (هارولد) :

- لا يا (داني) .. أرجوك .

برقت عينا (داني)، وهو يقول :

- كما تأمر يا عزيزي (هارولد) .. يكفي أن تطلب هذا .

ثم أزدف بابتسامة خبيثة :

- ولكن ما المقابل ؟

أدرك (هارولد) ما يقصده (داني)، فقال في مرارة :

- اذهب إلى الجحيم .

قال (داني) في برود :

- هكذا ؟

ثم لمس الزر في هدوء، ورأى (هارولد) ينتفض أمامه من

الألم لثوان، قبل أن يرفع سبائته عن الزر، فيتهاك (هارولد)

تماماً ..

وانتظر (داني) لحظات، حتى بدأ تصبب العرق، على جبين

(هارولد)، ثم قال في هدوء :

- المؤسف يا عزيزي (هارولد) هو أن إصرارك هذا لن يلبد

كثيراً .

وأخرج من جيبه صحيفة (نيويورك تايمز)، الساندة في

الصباح نفسه، واتجه إلى (هارولد)، وفردها أمامه . قائلاً .

- اقرأ هذا الخبر .

فتح (هارولد) عينيه في صعوبة، وقرأ في أسفل الصفحة

خبيراً، يشير إلى إلقاء القبض على جاسوسين أجنيين، لم تتحدد

جنسيتهما بعد، مع صورة لـ (حسام)، وهو يرقد في المستشفى

فاقد الوعي، وأخرى لـ (منى)، بين أيدي رجال الشرطة

الفيدرالية، و (داني) يقول :

- أراهن أنك تعرفهما يا عزيزي (هارولد)، فهما من

مواطنيك، وكانت مهمتهما هي إنقاذك .

ألقى (هارولد) نظرة أخرى على الصورتين، ولكنه لم

يتعرفهما، كما يتصور (داني) ..

لقد قضى أكثر من نصف عمره، في الولايات المتحدة

الأمريكية، لا يلتقى إلا بـ رجل واحد، من رجال المخابرات

المصرية، ولا يعرف سواه ..

أكثر من عشرين عاماً، قضاها منغمساً في المجتمع

الأمريكي، محاولاً مد جذوره في أعماقه، والتلون بصبغته، حتى

كاد ينسى اسمه المصري، الذي لم يعد يستخدمه، منذ ما يقرب من

ربع القرن ..

ولكن (داني) يظن أنه يعرف صاحبي الصورتين ..

هل يوافق على هذا، أم ينكر الأمر ؟ ..

لم يكن عقله يعمل بالصفاء اللازم، لاتخاذ قرار في هذا الشأن،

ولكنه راح يعتصر ذهنه، للبحث عن جواب مناسب، حتى قال

(داني) :

- لقد وقعا في أيدينا، ولن نلبث أن نكشف أمرهما تماماً .

ونحصل على اعترافات صريحة منهما ، قد تتسبب في إثارة أزمة ديبلوماسية ضخمة ، بيننا وبين (تل أبيب) .. أعنى بين دولتنا . صمت (هارولد) تماماً ، ولم يحر جواباً ، وطال صمته بعض الوقت ، فالتقى (داني) الصحيفة جاثياً ، وقال :

- فليكن يا عزيزي (هارولد) .. إنك تضطرنى إلى التعامل معك بذلك الأسلوب ، الذى تفضسه .

واتجه إلى الجهاز ، وقال :

- أسلوب لمس الأثرار .

هتف (هارولد) :

- لا .. أرجوك .

قال (داني) فى شراسة ، تمتزج بشيء من العصبية :

- اعترف إذن يا (هارولد) .. أخبرنا ما نريده منك ، فبنتهى كل شيء على الفور .. هيا يا (هارولد) .. أنت الذى يملك إنهاء كل هذا . فلفزت إلى ذهن (هارولد) مشاهد عديدة ، أشبه بشريط سينمائى متصل ..

مشاهد من طفولته بـ (مصر) ..

وصباه ..

وشبابه ..

ثم مشاهد من عمله فى (أمريكا) ..

وامتزج هذا بذاك ، وارتبك ذهنه لحظات ، تراخى جسده بعدها ، وهو يقول فى مرارة :

- سأعترف يا (داني) .. سأخبرك بكل ما تريد معرفته .

وفى استسلام تام ، راح يروى كل ما لديه ..

وبكل التفاصيل .

١٢٤

١٢- عبر المحيط

مط مساعد مدير المخابرات المصرية شفتيه ، وهو يطالع الخبر المنشور فى (نيويورك تايمز) ، ثم طوى الصحيفة ، وأزاحها جانباً ، وهو يقول :

- انهم يتباهون بفوزهم .

أشاح المدير بوجهه فى ضيق ، مغمغماً :

- من حق المنتصر أن يفعل دائماً .

قال مساعده فى حق :

- بالأنوغاد !

ثم لوح بكفه ، مستطرداً :

- وهل سنترك رجالنا هكذا ؟

التفت إليه المدير ، وسأله :

- وماذا يمكننا أن نفعل ؟

هتف المساعد :

- نحاول إنقاذهم .. نساعدهم على الفرار .. أو نرسل إليهم محامياً على الأقل .

صمت المدير لحظة ، ثم قال :

- سأدرس هذه الاقتراحات .

وشرد ببصره لحظة ، قبل أن يستطرد :

- ولكن من الضروري أن يتم أى إجراء نتخذه فى صمت ،

ودون الإشارة إلينا من قريب أو بعيد .

١٢٥

قال مساعده :

- ليس هذا بالأمر العسير .

تنهّد المدير ، قائلاً :

- هذا ما نطلبه .

ثم نهض من خلف مكتبه ، واتجه إلى نافذته ، وراح يتطلع منها لحظة ، قبل أن يضيف :

- إنها ستكون عملية جديدة ، تحتاج إلى المزيد من الرجال ، ومن الخطط الجديدة ، ولكن الأمر الوحيد المؤكد ، هو أننا لن نتخلى أبداً عن رجالنا ، مهما كان الثمن .. لن نتخلى عنهم قط .

كتم (فدري) دموعه في صعوبة ، وهو يقرأ ذلك الخبر ، الذى يحمل صورتي (منى) و (حسام) ، ثم ألقى الصحيفة جانباً ، وهو يقول فى حلق :
- اللعنة !

كانت دموعه تقاقل لتنههم من عينيه ، مع ذلك الشعور العارم بالمرارة ، الذى يملأ نفسه ، ويكاد يفيض من ملامحه وعروقه ..
إنه لم يعد يحتمل ..

لم يعد يحتمل ذلك العالم البقيض ، الذى يحيا فيه ..

عالم الصراعات والشور ..

قاوم دموعه أكثر وأكثر ، وحاول أن يتشاغل فى بطاقة جديدة ، من البطاقات السرية للمخابرات المركزية الأمريكية ، كان (هارولد) قد أرسلها إليه منذ شهر أو يزيد ، ليحاول تزويرها ، وصنع بطاقات شبيهة ..

ولكنه لم يستطع ..

كانت أصابعه ترتجف ، وعيناه تغيتمان بدموع حبيسة ..

وهو شخص عاطفى ..

عاطفى أكثر مما ينبغي ..

وأكثر مما يحتمل العمل فى مجاله ..

وعاطفيته هذه تؤلمه ..

تحطمه ..

تقتله ..

غصّ حلقه مرة أخرى بالدموع ، وهو يقاوم ويقاوم ..

ما الذى ربحه من هذا العمل ؟ ..

صحيح أنه أشهر خبير تزوير معروف ، ولكنه أتعس رجل فى الدنيا ..

إنه يفقد أصدقاءه ، وأحداً بعد الآخر ..

فى البداية خسر (حازم) .. (*)

ثم (أدهم) .. (**)

(أدهم) ، الذى لم يرتبط بمخلوق فى حياته كلها ، مثلما ارتبط به ..

(أدهم) الرقيق ، المهذب ، اللبق ، الحنون ..

وهنا عجزت عيناه عن حبس دموعهما ، مع ذكرى (أدهم) ،

فهتف فى مرارة :

- اللعنة ! لماذا أقاوم ؟

(*) راجع قصة (الرصاصة الذهبية) .. صفحـ ١٧ (١٧) .

(**) راجع قصة (وكـر الإرهاب) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

تفجرت دموعه الحبيسة، وتركها تغرق وجهه، وتتساقط على أوراقه، وهو يعتمد جبهته براحتيه، منتحبا في حرارة ..
إنه لن ينسى أبداً ذلك اليوم، الذي بلغه فيه خبر مصرع (أدهم) في (المكسيك) ..

يومها بكى، كما لم يبكي من قبل ..
صحيح أن أحداً لم يلمح دموعه يومها، ولكن جدران حجرته ومعملة رأت أنهازا منها تنهمر في غزارة ..
ولم ينس (أدهم) أبداً حتى الآن ..
من ذا الذي ينساه ؟

من ينسى أعظم رجل مخابرات في العالم ؟
الرجل الذي التحنت له أنظمة المخابرات، في قارات العالم الست ..
من ينساه ؟

ترك دموعه تنهمر في غزارة، وشعر بالارتياح مع سقوطها، وكأنها كانت تجثم على صدره وأعصابه ..
اليوم أيضاً فقد (منى) ..
آخر الأصدقاء والأحبة ..

اليوم خسر لمسة الأنوثة الرقيقة، في عالم المخابرات العنيف ..
وفجأة ارتفع رنين الهاتف ..

هاتفه الخاص المباشر، الذي يندر أن ينطلق رنينه في حجرته، مع قلة عدد معارفه وأصدقائه ..
ولولة، تساءل (قدري) عن يمكن أن يتصل به، عبر هذا الرقم بالذات، ثم لم يلبث أن اختطف سماعه الهاتف، قائلاً :

- من المتحدث ؟

أتاه صوت مألوف، يقول :

- إنه أنا يا (قدري) .

لم يصنق نفسه، فانقبضت أصابعه على سماعة الهاتف في قوة، وهتف :

- (منى) ؟ .. أهو أنت حقاً ؟ .. كيف حالك يا (منى) ؟ .. من أين تتحدثين ؟

تفجرت دموعه مرة أخرى مع كلماته، وسمع صوتها تقول :
- إنني بخير نسبياً يا (قدري)، فمازلت على قيد الحياة على الأقل، وأتحدث إليك عبر المحيط، من المسجن الفيدرالى في (نيويورك) .

شعر بالأسى لقولها، وهتف محاولاً بث روح الأمل والتفاؤل في أعماقها، ومحو الكثير من بأسها :

- لن تستمر الأمور بهذا السوء يا (منى) .. صدقيني .. لا بد أن يكون لديك إيمان بالله (سبحانه وتعالى)، وألا يخلو قلبك أبداً من الأمل .

صمت صوتها لحظة، ثم قالت في تردد :

- لدى أمل واحد في الواقع يا (قدري) .

سألها في اهتمام :

- ما هو يا (منى) ؟

ترددت لحظة أخرى، ثم قالت في صوت يؤكد أنها قد حسمت أمرها :

- استمع إلى جيتا يا (قدري)، فما سأخبرك به بالغ الأهمية والخطورة .. والسرية أيضاً .

واندفعت تروى مالدبيها ..
واتسعت عينا (قدرى) فى ذهول ..
واتسعت ..
واتسعت ..

★ ★ ★

لم تكد (منى) تنتهى من (إبلاغ) (قدرى) مالدبيها ، وتعيد سماعه
الهاتف إلى موضعها ، حتى شعرت بارتياح بالغ ، وكأنما أزاحت
عن كاهلها حملاً ثقيلاً ، وأطلقت من أعماقها زفرة حارة ، فى نفس
اللحظة التى دخل فيها مأمور السجن إلى حجرة الهاتف ، وسألها
فى هدوء :

- هل انتهيت من محادثتك ؟
أجابته فى ارتياح :
- نعم .. شكرًا لك .
تطلع إليها المأمور لحظة ، وكأنما يحاول سبر أغوارها ، قبل
أن يقول :

- أنتظمن ماسيواجهك هنا ؟

أجابته فى خفوت :

- إلى حد ما .

تأملها مرة أخرى مشفقًا ، ثم قال :

- صحيح أنك هنا ، تحت الحبس الاحتياطى ، بتهمة التجسس ،
ولكنك فى الواقع لاتبدى أبدا كجاسوسة ، وأخشى أن وجودك هنا ،
طوال الأسبوعين القادمين ، سيبدو أشبه بالجحيم .
سألته :

- هل ستسمى معاملتى ؟

هز رأسه نفيا ، وقال :

- لمست أنا من سيفعل .. بل زعيمات الميجينات هنا .

سألته فى مراة :

- ألا تبنى متهمة بالتجسس ؟

عاد يهز رأسه ، قائلا :

- لمست أظن هذا يعنى الكثير بالنسبة إليهن ، ولكنهن يعلن
هذا بكل قادمة جديدة ، وكأنى بهن يعلن أمامها سيطرتهن على
عالمهن القذر البقيض .

ابتسعت قائلة :

- لا تقلق من أجلي ، فى هذا الشأن .

تطلع إليها فى دهشة لحظة ، ثم هز رأسه ، قائلا :

- هذا شأنك .

ثم التفت إلى مساعدته ، قائلا :

- اذهبى بها إلى زنزانتها .

ألقت المساعدة نظرة شامتة على (منى) ، ثم دفعتها أمامها ،

قائلة فى صرامة :

- هيا يا امرأة .

سارت (منى) أمامها ، عبر ممر طويل ، يضم عددا ضخما من

الزنزانات الصغيرة ، فى كل منها امرأة ، تتطلع إليها بابتسامة

متشوية ساخرة ..

وعندما بلغت المساعدة تلك الزنزانة ، المخصصة لـ (منى) ،

أمسكت معصم هذه الأخيرة فى قوة ، وقالت فى صرامة شرسة :

- اسمعى يا صغبرى .. من الواضح أنك تجهلين تمامًا أين أنت، وتجهلين طبيعة هذا المكان، ولكن من الضروري أن تعلمى أنك، بصورك جدران هذا السجن، قد أصبحت كَمَا مِهْمَلًا، لا تساوى حياتك سوى تقرير إدارى صغير، من بضعة أسطر، وشاهدين من حثالة المجتمع، وهذا يعنى ضرورة أن تلتزمى بكل ما يوجه إليك من أوامر، وألا تنسى أبداً أننى هنا الرئيسة الحقيقية، فالمأمور نفسه لا يجرؤ على دخول هذه المنطقة .. هل تفهمين ؟

أجابتها (منى) فى برود :

- إلى حد ما .

صاحت بها المساعدة فى غلظة :

- بل ينبغى أن تفهمى جيداً .

ابتسمت (منى) فى سخرية، وهى تقول :

- ربما كنت بطيئة الفهم .

رمقتها المساعدة بنظرة غاضبة شرسة، ثم قالت فى عصبية :

- لئى من تساعدك على سرعة الفهم .

ثم صرخت :

- (سيرينا) .

ظهرت زنجية مشوقة القوام، صارمة الملامح، قوية البنيان، رملت (منى) بنظرة قاسية، وهى تقول للمساعدة :

- ماذا تريدن يا (هوى) ؟

أشارت (هوى) إلى (منى)، قائلة فى لهجة أقرب إلى الشماتة :

- هذه الأجنبية بطيئة الفهم .

تأملت عينا (سيرينا)، وهى تقول فى لهجة أقرب إلى الجذل :

- حطاً ؟

ابتسمت (هوى) فى تشف، وهى تقول :

- حاولى تعليمها سرعة الفهم يا (سيرينا)، وأسرعى، فلن تبقى بيننا سوى أسبوعين فحسب .

غمضت (سيرينا) فى سخرية :

- يا للخسارة !

أطلقت (هوى) ضحكة ساخرة، وغادرت المكان فى خطوات سريعة، وهى تقول لـ (منى) فى شماتة :

- سجنًا سعيدًا يا فتاتى .

ورددت جدران السجن صدى ضحكاتها الساخرة ..

انعقد حاجبا (فرانك جير)، مدير قسم مكافحة الجاسوسية، فى المخابرات الأمريكية، وهو يطالع اعتراف (هارولد) فى عناية، ثم لم يلبث أن ألغاه جانباً فى حدة، هاتفاً :

- هراء .. كل هذا مجرد هراء .

قال (فومستر) فى صرامة :

- ما الهراء فيه يا (فرانك) ؟ .. إنه اعتراف واضح وتفصيلى، وهو يتفق تمامًا مع وصول (دافيد) و (ليا)، اللذين ألقينا القبض عليهما .

هتف (فرانك) :

- بل هى محاولة فاشلة، لتوريث (الموساد) فى العملية ..

من المستحيل أن ينتمى (هارولد) هذا (الموساد) .. لن يمكنك
إقناعي بهذا أبداً، حتى ولو اعترف هو نفسه بهذا .

رقمه (فوستر) بنظرة شك، وهو يقول :

- ولكن الاعتراف وحده لا يكفي لإدانتك يا (فرانك) ، أو
لتصديقه، وأنت تعلم هذا جيداً .. لقد راجعنا اعترافه نقطة نقطة،
ووجدنا أنه يحتمل الصدق تماماً، فكل العناوين والأسماء التي
أدلى بها، والتي كانت أماكن وأشخاص الاتصالات، صحيحة
تماماً .

لوح (فرانك) بيده، هاتفاً :

- أي جهاز مخابرات يمكنه معرفة هذه المعلومات، وتنسيقها
داخل قصة زائفة، بحيث تبدو كما لو كانت حقيقة .

سأله (فوستر) :

- أي جهاز مخابرات مثل ماذا ؟

هتف (فرانك) :

- أي جهاز .. المخابرات المصرية مثلاً .

قال (فوستر) في بطء :

- ولم لا يكون (الموساد) ؟

لم يحر (فرانك) جواباً، وساد الصمت لحظات، حتى قال
(فوستر) في صرامة وحزم :

- لماذا تتعاطف إلى هذا الحد، مع (الموساد) يا (فرانك) ؟
صاح (فرانك) :

- أتعاطف .. لماذا أتعاطف مع (الموساد) يا (فوستر) ؟
أجابه (فوستر) في خبث :

- ربما كنوع من الانتماء الديني .

صاح غاضباً :

- انتماء ديني ؟! .. أنتهمنى بالتآمر مع جهاز مخابرات آخر .
يا (فوستر) ؟

حرّ (فوستر) كتفيه، وقال في دهاء :

- إنني أسأل فحسب .

ضرب (فرانك) سطح مكتبه بقبضته، وهتف :

- لا يا (فوستر) .. لمست أتعاطف مع (الموساد) ، أو الـ (كي .

جي . بي) ، أو أي جهاز مخابرات آخر، ولكنني أحاول تقييم الأمور
بعملي، بدلاً من المسقوط كالغر الساذج، في أي فخ يداني، بعده لي
جهاز مخابرات عربي .

قال (فوستر) في هدوء، ودون أدنى انفعال :

- ولماذا عربي ؟

هتف (فرانك) :

- لأنهم يحاولون توريث (الموساد) ، وأنت تعلم أنه الخصم
للشود لكل أجهزة المخابرات العربية، وبالذات المصرية
والسورية .

قال (فوستر) ، وهو يضغط حروف كلماته في شدة :

- أريد أدلة واضحة .

صاح (فرانك) :

- ألم تر هذه الفتاة ؟ .. أتبدو لك إسرائيلية ؟

قال (فوستر) :

- لا يوجد ما يمنع كونها كذلك .

انعتقد حاجبا (فرانك) فى شدة، وهو يقول :

- أنا واثق من أنها ليست إسرائيلية .

نهض (فوستر) ، وقال :

- إنها وجهة نظرك يا عزيزى (فرانك) ، وسأحترمها تماما .

ثم استدرك فى حزم :

- على أن تحترم وجهة نظرى .

تراجع (فرانك) فى مقعده ، قائلا :

- وما وجهة نظرك أيها العبقري ؟

أجاب (فوستر) ، وهو يستدير منصرفا :

- لقد فعلها الإسرائيليون من قبل يا صديقى ، وزرعوا بعض

جواسيسهم بيننا ، ولست أستبعد أن يفعلوا هذا ثانية .

لم يجب (فرانك) ، وإن بدا وكأن حاجبيه سيمتزجان ، من شدة

التفانئهما ، وهو يتابع (فوستر) ببصره ، فى حين فتح هذا الأخير

الباب ، والتفت إلى (فرانك) ، وابتسم ابتسامة خبيثة غامضة ،

وهو يلوح بيده ، قائلا :

- وستثبت الأيام صدق أحذنا يا صديقى .. إلى اللقاء .

وأغلق الباب خلفه فى هدوء ، لتغرق الحجرة فى صمت

عميق ، قطعه (فرانك) وهو يتمتم فى قلق وتوتر :

- أسلوبك هذه المرة لا يروق لى يا (فوستر) .. لا يروق لى

أيضا .

صمت لحظات أخرى ، وهو يدرس الأمر فى عمق ، ثم لم يلبث

أن هز رأسه فى قوة . وهو يقول فى حزم :

- لا يروق لى بالفعل .

واستدار يلتقط سماعة هاتف خاص إلى جواره ، وضغط

أزراره فى ببطء وتأن ، وانتظر حتى سمع صوت محدثه ، فقال :

- مساء الخير يا (إيزاك) .. إنه أنا (فرانك) .. يبدو أن

(هارولد) هذا يلعب لحساب المصريين ، فهو يحاول توريطننا فى

الأمر .. نعم .. لقد علمت هذا الآن فقط .. من (فوستر) نفسه ..

من الضروري أن ترسل أفضل رجالك يا (إيزاك) ، لكشف حقيقة

(هارولد) ، قبل أن يربح المصريون اللعبة ، وتدفع نحن الثمن ..

أفضل رجالك يا (إيزاك) .. هل تفهم ؟

أنهى المحادثة على الفور ، وقال فى غضب واضح :

- لن نسمح لكم بهذا أيها المصريون .. لن نسمح به أبدا .

وكان من الواضح أن الحرب ستتخذ هذه المرة منحى جديدا ..

منحنى بالغ الخطورة .



١٣ - العودة ..

غربت الشمس في (كيواوا) ..
 لم تكن أول مرة تغرب فيها في الأفق ، خلف ذلك الجدول ، الذي
 يشق المزرعة ، ولكن (أدهم) شعر بالحزن مع غروبها ..
 ولم تكن أول مرة يخرج فيها لمشاهدة ذلك الغروب ، ولكنه في
 كل مرة كان يشعر بالحزن نفسه ..
 كان الغروب يذكره ، في كل مرة ، بغروب شمسه هو ..
 باعتزله ..
 وباتعزله ..
 لم يدرك لماذا اتخذ هذا القرار ؟ ..
 لماذا قرر أن يعتزل العمل ، بعد زواجه - شبه الإجباري - من
 (سونيا جراهام) ، وإنجابها طفله الوحيد ؟ ..
 أهو شعور بالخجل ، لأنه تزوج عدوته ، وعدوه بلاده ؟
 إنه لم يكن يدرك ، وهو يتزوجها ، أنه يرتكب هذا الخطأ ..
 لم يكن يعلم من هو ..
 ولماذا يفعل ..

وعلى الرغم من هذا ، فهو يشعر بالمرارة والخزي مما فعل ..
 ومن أعماق أعماق نفسه ، ومن قاع ذكرياته المريرة ، أطلق
 (أدهم) زفرة حملت حرارة براكين الأرض كلها ، ثم اتجه إلى
 الجواد العربي الأبيض ، الذي وقف ساكنا ، وكأنما يراقب الغروب



وعلى الرغم من هذا ، فهو يشعر بالمرارة والخزي مما فعل :
 ومن أعماق أعماق نفسه ، ومن قاع ذكرياته المريرة ، أطلق (أدهم)
 زفرة حملت حرارة براكين الأرض كلها ..

كصاحبه ، ووثب على متنه فى رشاقة مدهشة ، ولكزه بكعبيه فى بطنه ، قائلاً :

- هيا يا صديقى .

انطلق بالجواد عبر المزرعة الشاسعة المترامية الأطراف ، وقد خلا ذهنه من أية انفعالات أو ذكريات تقربياً ، وكأنما يجد سلواه فى امتطاء ذلك الجواد الأصيل ، الذى يعيد إليه شعوره بالانتماء إلى موطنه ..

ومن بعيد لاح له ذلك القصر ، الذى يتوسط المزرعة .. قصره ..

ودون وعى منه ، خلف من سرعة الجواد ، وكأنما يخشى بلوغ ذلك القصر ..

كان يمقت المكان ، ويعشقه فى الوقت نفسه .. وباله من مزيج متناقض عجيب ..

كان يمقته ، لأنه يبدو - بالنسبة إليه - أشبه بسجن ، أحاطت به قضباته ، ومنعته من العودة إلى حياته السابقة .. ويعشقه لأنه مسقط رأس ابنه .. ابنه الوحيد ..

وفى بطنه ، بلغ القصر ، وترجل عن جواده ، واستقبلته (سونيا) فى توتر ملحوظ ، وهى تقول :

- أمازلت تصرّ على رؤية الغروب يومياً ؟ أجابها فى صرامة :

- هذا يروق لى .

اتخفض صوتها ، على غير عاداتها ، وهى تقول :

- إننى لم أعترض .

تحرك لينخل إلى القصر ، ولكنها استوقفته ، قائلة :

- (أدهم) .. أمازلت تكرهنى ؟

لم يجر جواباً ، وإن بدا شيئاً من الحزن فى عينيه ، فتابعت فى عصبية :

- ماذا أفعل لأفقتك أننى أحبك يا (أدهم) ؟

قال فى ضيق :

- إننى واثق من هذا تماماً يا (سونيا) .

هتفت فى مرارة :

- لماذا تكرهنى إذن ؟.. لقد أقسمت لك إننى لم أعد عدوتك ..

إننى الآن زوجتك يا (أدهم) .. زوجتك وأم ابنك .. ألا تفهم هذا ؟

استدار يواجهها ، وهو يقول :

- أفهمه يا (سونيا) .. أفهمه تماماً .. ولكننى أفهم أيضاً أن

زواجنا تم بخدعة حقيرة .. أنت تعلمين جيداً يا (سونيا) أنه كان من المستحيل أن أتزوجك ، لو لم أفقد ذاكرتى ، وأجهل من أنا ، ولو لم يمكنك خداعى ، وإيهامى بأننى (موشى حاييم دزرائيلى) (*) .

صاحت محزنة :

- لماذا ؟.. لماذا كان من المستحيل أن تتزوجنى ؟.. منات من

الرجال لم يمتنوا خيراً من زواجهم منى .

قال فى برود :

- ربما كان هذا هو السبب .

صاحت فى حدة :

(*) راجع قصة (الأنطوبوط) .. المغامرة رقم (٨٢) .

- ماذا تعنى ؟

أجابها فى صرامة :

- أنت تدركين ما أعنيه .. ولا أريد كلمة واحدة زائدة ، فى هذا

الشان .

نطقها بلهجة أمرة ، كانت تجمد الدماء فى عروقها ، فلانث

بالصمت لحظات ، ثم قالت فى لهجة لها طعم الدموع :

- ماذا أفعل لتحبنى ؟

أجابها مشيخا بوجهه :

- اتركى الأمر للزمن .

سأنته فى مראה :

- وهل هناك أمل ؟

تنهذ فى عمق ، وقال :

- من يدري يا (سونيا) ؟ .. من يدري ؟

اكتسبت لهجتها شيئا من الشراسة ، وهى تقول :

- أما زلت تحبها ؟

لم يجب على الفور ، فقالت فى حدة :

- إنك تحبها .. أليس كذلك ؟

قال فى شيء من الصرامة :

- كيف حال الصغير ؟

صاحت :

- لا تبدل الأمر ، ولا ..

قاطعها مشيخا إلى الأفق :

- يبدو أن لدينا زائرا .

تطلعت إلى حيث يشير ، ورأت مصباحى سيارة يقتربان من

القصر ، عبر الطريق الممهّد الخاص ، فقالت فى حذر :

- ومن ذا الذى يأتى لزيارتنا ، دون موعد سابق ؟

رذذ (أدهم) :

- من يدري ؟

تابع ببصره السيارة ، التى قطعت الطريق كله ، حتى توقفت

أمام الباب الرئيسى للقصر ، وسمع سائقها يقول لراكبها الوحيد ،

فى إنجليزية ركيكة :

- ها هو ذا قصر السنيور (أميجو صاندو) ياسنيور ، وها هو

ذا يقف هناك ، مع السنيورا (نورما) .

تساءل (أدهم) فى حذر ، عن يكون هذا الزائر الغامض ،

ولكنه لم يكذب ولمحه ، وهو يغادر السيارة ، حاملا حقيبة الصغيرة ،

حتى هتف :

- أنت ؟

أما (سونيا) ، فقد اتعقد حاجباها فى شدة ، وأدركت أن هذا

اللقاء قد يكون بداية جديدة لـ (أدهم) ..

أو نهاية أخرى ..

★ ★ ★

انتهى الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثانى

(الثعلب)